كالأبيض والأسود

(لا نلتقي)

رواية

إسراء الشيخ

اسم الكتاب	:	كالأبيض والأسود لا نلتقي
النوع	:	رواية
المؤلف	:	إسراء الشيخ
تصميم الغلاف	:	عبدالله احمد
تدقيق لغوي	:	ياسر عوض
الإخراج الفني	:	فريق عمل الدار
إصدار	:	2022/2023
رقم الإيداع	:	2022/22902
الرقم الدولي	:	978-977-86354-8-5

كتابك للنشر والتوزيع
01014668061

كتابك للنشر والتوزيع +201014668061

جميع الحقوق محفوظة الناشر ©

وأي اقتباس، أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرِّض صاحبه للمساءَلة أما حقوق الملكية الفكرية والآراء، والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب القانونية، فقط لا غير.

إهداء

أنس بوخش رائد أعمال إماراتي يُقدم برنامج على اليوتيوب، وغالبًا ما يسأل ضيوفه بنهاية الحلقة: "ماذا ستقول لقلبك إذا وضعته أمامك الآن؟!".

حاولت كثيرًا أن أسأل نفسي هذا السؤال ولكن لم أمتلك الشجاعة الكافية للإجابة، فقد تحمل قلبي معي الكثير خلال مسيرة حياتنا ولسوء حظه لا يمكنه الافتراق عني كما يفعل الناس من حولي!

لقد تعرضنا معًا للخذلان وشتى أنواع الحزن، لذلك أُهدي تلك الرواية لقلبي المتهالك لعلها تكون اعتذارًا منى له وأتمنى أن يقبله في يومٍ من الأيام!

أو يمكنني إهداء تلك الرواية إلى طاقم عمل البرنامج؛ لأنهم يحترمون خصوصية المشاهير ولا يضغطون عليهم ليحصلوا على أخبار حصرية، بل يتركون الشخص ليتكلم بكل أريحية ويُظهر لنا الجانب الإنساني منه بكل وضوح!

إسراء الشيخ

مقدمة

قالوا لنا يومًا بالمدرسة: "إذا قمت بتمرير شعاع ضوء أبيض خلال منشور زجاجي ثلاثي سيظهر بالجهة المقابلة سبعة أشعة مختلفة الألوان وهي (الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والنيلي والأزرق والبنفسجي)".

قالوا لنا أيضًا في الفيزياء: إن الأسود ليس بلون ليكون له انعكاس بينما هو مجرد ظلام لا أكثر، وأينما تواجد الأبيض "النور" لا يتواجد "الأسود"!

أعتقد أنه لذلك أنا وهو لا نلتقي بأي شكلٍ كان رغم زواجنا! رغم حُبنا الشديد لبعضنا! رغم كل شيء يحدث ليجمعنا إلا أننا كالأبيض والأسود؛ لا نلتقي!

إسراء الشيخ

الفصل الأول

البداية

استيقظت على صراخ جارتنا التى تسكن بالطابق الذي يعلونا مُباشرةً، عادةً ما تراودني الكوابيس والأحلام المُفزعة كثيرة لكنني لا أستيقظ خائفة أبدًا مثلما حدث اليوم، لا أعلم لماذا، لكن صراخ جارتنا كان مؤلمًا وحزينًا جدًا!!

نظرت إلى هاتفي ووجدت المنبه قد بدأ في الرن: "تبًا... إنه وقت الذهاب إلى العمل، حسنًا سأعلم من أمي ما الذي حدث عندما أعود، لكن الآن عليَّ الاستعداد لمواجهة مديري أولًا ثم ما تبقّى من اليوم ومن ثمة الحياة!".

إن مديري هذا شخصٌ أصعب من الحياة بحد ذاتها، لا أعلم هل خلقه الله هكذا أم أنه مرّ بصعابٍ كثيرة خلال مراحل عمره المختلفة جعلته يتحول إلى رجل آلي أو صخرة متحركة كما يلقبه بعض زملائي؟ لكنني أشفق عليه على عكسهم وأحاول أن أكتشف دائمًا ما الذي جعله هكذا.

لقد نسيت إخباركم: إني شخص لا يترك الأمور على حالها، أفضل دائمًا أن أبحث وأتساءل عما جرى بحياة الآخرين سابقًا مما جعلهم بهذا الشكل الذي يظهر أمامنا، كما أنني كثيرًا ما أفكر في أشياء مُسَلّمة عند بعض الناس مثل: "لماذا سُمّي الباب بالباب؟ ولِمَ لَمْ يُسمّى بشباك مثلًا في حين يُطلق على الشباك بابًا؟!". إنها أسئلة غير منطقية ولا تدور في رأس أحدٍ غيري على ما أعتقد!

يمكنكم القول: إنني التجسيد الحي والشرح المفصل لكلمة: "كثيرُ التفكير" أو كما يطلقون عليها باللغة الإنجليزية: "overthinker"، وأعتقد أن هذا ما جعلني جيدة في عملي بناءً على آراء عُملائي أو عملائنا كما يُحب مديري أن يقول.

أردت دائمًا أن أنطلق في مغامرة أو حتى أعيش يوم واحد بدون تفكير، فقط أفعل ما يحلو لي، لكن كلما هممت بفعل هذا وجدت صوتًا في أذني وعقلي يردد: "مَن خاف سَلِم"، أو يسألني ذلك الصوت: "ما هي العواقب وما هي العوائد؟ هل قمتِ بحساب ما ستفعلينه جيدًا؟ هل سيعود عليك بالخير أم الشر؟" مما جعلني لا أخرج أبدًا عن المألوف، وظللت أسير في خطى المجتمع؛ خوفًا من أن يُقال عني شيء لا أرغب بسماعه، لكني أحيانًا ما أفكر في شكل حياتي إذا قمت بعمل شيء واحد من الأشياء التى أريدها وهذا هو الوقت الوحيد الذي أترك فيه العنان لعقلي دون أدنى محاولةٍ مني لإيقافه.

في صغري شاهدت الكثير من أفلام الكارتون المتحركة وخاصة أفلام الأميرات التى اعتادت شركة ديزني أن تقدمها، وعندما وصلت إلى سن المراهقة بدأت أتخيل حياتي مثلهم، فكلما رأيت ابن جارتنا التى استيقظت على صراخها اليوم بالجوار أتخيل مثلًا بأنه الأمير روبرت وأنني بياض الثلج وأترك العنان لعقلي في سرد الحكاية بشكلٍ آخر.

ففي إحدى المرات كنت واقفة في فناء العمارة مع إحدى صديقاتي القدامى، "بالمناسبة لقد اعتدتنا أن نكون ثلاث صديقات، أنا وهي وتمارا، لكنها قامت بخيانتي بطريقة ما لذا انفصلنا عنها أنا وتمارا"، وعندما رأيته قادمًا من بعيد أنهيت الحديث مع صديقتي على عجالة وتركتها ترحل ثم وقفت في مكانٍ آخر بعيدا عن أنظار من يدخل عمارتنا حتى لا يتمكن من رؤيتي وبدأت بالغناء وأنا أتخيل بأنني بياض الثلج التى تسير في الغابة وهي

تغني وسمعها الأمير وبحث عنها حتى وجدها، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان؛ فقد كان واضعًا لتلك الملعونة الملقّبة بسماعات الآذن ولم يسمعني حتى!

هذه ليست المرة الوحيدة التى فشلتْ فيها خطتي، بل تارة ما تفشل خطة كوني الأميرة آريال وأخرى بينما أنا الجميلة بيل غيرهم بينما أعود إلى البيت في ساعة متأخرة مع والدي وأراه فأتخيل بأنني سندريلا الهاربة من الحفلة الملكية وسقط مني حذائي وهو سيبدأ في البحث عني!

على أي حال كفانا حديثًا الآن، عليّ الذهاب إلى العمل لا يجب أن أتأخر أكثر من ذلك وإلا ستكون العواقب غير مُرضية على الإطلاق؛ فمديري رجل لا يرحم كما قلت من قبل.

قررت أن أرتدي اليوم جيبة سوداء مع تيشيرت نبيتي غامق والطرحة ستكون سوداء هي الأخرى، لا أدري لماذا لكنها ستكون مناسبة لأجواء الصراخ والبكاء القادمين من الطابق العلوي.

خرجت من حجرتي ووجدت أمي واقفة بانتظاري كعادتها وهي تقول:

- ألن تتناولي فطورك؟

أنا: ليس لديّ الوقت الكافي لهذا، سأشتري بعض المخبوزات في الطريق وستكفيني إن شاء الله، لا تقلقي عليّ فأنا أستطيع أن أتدبر أموري.

أمي: ربي يعينك يا فتاتي، ربي يتوب عليكي من هذا العمل.

أنا: آمين يا أمي آمين، هل عرفتِ لماذا تصرخ جارتنا هكذا؟ ما الذي أصابهم؟

أمي: لا أعرف بعد، سأصعد إليها بعد أن تذهبي.

أنا: حسنا، إلى اللقاء.

أمي: ليرعاكِ الله ويحفظك حتى تعودي.

أنا: آمين.

ركبت سيارتي وتوجهت إلى مقر عملي بأقصى سرعة يمكن أن أقود بها دون أن أتسبب في حوادث، عندما وصلت استقبلني زملائي على عجالة وهم يرددون جميعًا: "ما الذي أخّرك كل هذا؟ إن أستاذ حسام في انتظارك منذ وقت وقد بدأ صبره ينفد".

يقولون دائمًا: "الكتاب يظهر من عنوانه"، وأحيانًا يقولون: من غلافه، كما يقولون: "اليوم معروف من بدايته"!

حسنًا لقد عرفت إلى أين يتجه اليوم منذ أن استيقظت فلا داعي للتأكيد على المعلومة أكثر من هذا!

تركت حقيبتي على مكتبي وذهبت مسرعة إلى مكتب الأستاذ حسام، طرقت الباب فسمح لي بالدخول وفور أن رأى وجهي بدأ الكلام بصوتٍ عالٍ حتى إنني أشك بأن أمي سمعت ما يقول وهي بالبيت، إن هذا الرجل سيؤذي أذنيَّ يومًا ما!

انتظرته حتى انتهى من كلامه؛ فأكثر شيء يُغضبه هو أن يقاطعه أحد أثناء حديثه وهو غاضب بالفعل فلا يجب أن نزيد الطين بلة كما يقولون، أعطيته الملفات التى كان يبحث عنها وأخبرته أن العمل الذي طلبه مني بالأمس قد انتهيت منه رغم أنه من المفترض أن أسلمه يوم غد، لكنني سهرت عليه ليلًا، هدأ قليلًا ثم سمح لي بالانصراف بعد أن اطمأنّ على عمله.

عدت إلى مكتبي مرة أخرى وبدأت أمارس أعمالي المتبقية وأساعد زملائي كالعادة، لكن اليوم كان صعبًا للغاية لا أعلم لماذا، لكنه كان من تلك الأيام التى لا تمر بسرعة، بل مرّ كأنه سنوات طويلة ليس لها نهاية!

انتهى اليوم أخيرًا وعدت إلى البيت برأسي الممتلئ ولا أريد شيئا سوى النظر إلى سقف حجرتي بهدوء أو النوم ليرتاح جسدي قليلًا ويُريحني عقلي من شدة التفكير بكل كبيرةٍ وصغيرة أراها، فهذا يستهلكُ مني أضعاف الطاقة التي أحتاجها للعمل، كما أن عيني قد أتعبها النظر للحاسوب طوال النهار وتحتاج لبعض الراحة هي الأخرى، أعتقد أنني أحتاج لفقدان الوعي وليس مجرد بضع ساعات من النوم!

وجدت أمي واقفة بانتظاري في شرفة المنزل على غير عادتها فأنا لم أتأخر اليوم بل عدت في موعدي المحدد، عندما صعدت إلى طابقنا وجدتها واقفة أمام باب الشقة وهي تقول:

- "انتقل أستاذ إبراهيم إلى الرفيق الأعلى؛ لذلك كانت زوجته تصرخ وتبكي بالصباح، لقد صعدتُ إليها وقدّمت واجب العزاء، اذهبي أنتِ أيضًا وقومي بمواساتها".

أنا: لكنني متعبة ومنهكة اليوم يا أمي، هل يمكن أن نؤجله للغد؟

أمي: سأصعد معك وسنتحجّجُ بعودتك للتوّ من عملك، هيا هذا واجب عزاء لا يمكن تأجيله.

أنا: حسنًا هيا بنا، لكن ألا يجب أن أبدّل ذلك التيشيرت فلونه غير لائق؟!

أمي: ليس مهمًا فلونه غامق بما يكفي.

صعدنا وطرقنا الباب ففتح هو وقدّمت له واجب العزاء قائلة:

- "البقاء لله".

فأجابني: "الدوام لله وحده".

وصوته حزين أكثر من عينيه، وملامح وجهه المنهكة من هول الصاعقة والصدمة التي تعرض لها اليوم؛ فقد صدق من قال: إن الأب هو السند الذي تتكئ عليه دون خوف، وعندما يرحل تظن بأن العالم أجمع قد انقلب ضدك!

ذهبتُ مع أمي إلى والدته وقمت بتعزيتها ومواساتها هي الأخرى، وجلسنا معها ما يُقارب نصف الساعة ثم استأذنت لنا أمي بحجة أنني أتيت من عملي منذ قليل وبأني منهكة ومتعبة بعض الشيء، لذلك علينا النهوض كما اتفقنا، سمحت لنا الحاجة نور بالذهاب وفور أن وصلت إلى شقتنا ألقيت جسدي المتعب على سريري ولم أشعر بشيء إلا عندما أشرقت شمس اليوم التالي.

استيقظت قبل موعدي بساعتين على غير العادة فأنا شخص مُحب للنوم ولو لم يكن العمل لما استيقظت على الإطلاق! أرسلت برسالة نصية إلى أستاذ حسام أخبره بحالة الوفاة وبعدم قدرتي على الذهاب إلى العمل اليوم وبأنني سأحاول العمل من المنزل هذا اليوم، وافق بعد صعوبة لكنه في النهاية وافق وهذا هو المطلوب.

أعددت كوب قهوتي وأخرجت من الثلاجة قطعة من الشيكولاتة وذهبت إلى حجرتي بانتظار أمي لتستيقظ، جلست على سريري مع أكثر شخص لا أطيق الجلوس معه، وجدتني مع نفسي وعقلي بمفردنا، بالرغم من أنني أصبحت بعمر الخامسة والعشرين إلا أنني لم أتمكن من فهم طريقة عمل عقلي حتى الآن، ولم أستطع فهمه أبدًا، يبدو أنه غير مقدّر لي ذلك! وأتعجب جدًا ممن يقول لي: "أنا أفهمك!"، كيف لك أن تفهمني إذا كنت أنا شخصيًا لا أفهمني في أغلب الأحيان؟!

عندما يسير أحد ما بالطابق العلوي وبالأخص في الصباح الباكر والهدوء يعم المكان أتمكن من سماع صوت خطواتهم، وهذا بالتحديد ما أخرجني من دوّامة عقلي وعلمت وقتها باستيقاظهم، جلست أفكر قليلًا هل أصعد لأعرض عليهم مساعدتي أم لا؟ ثم قررت في النهاية أن أرتدي عباءتي السوداء وأصعد.

سألتهم إذا كانوا يريدون مني شيئا، لكن الحاجة نور رفضت بكل احترام ومع ذلك أخبرتها: إني قد أخذت اليوم إجازة من العمل فإذا أرادوا مني شيئا يكفي أن يطلبوني وسأكون عندهم في لمح البصر.

عدت إلى شقتنا مرة أخرى ووجدت أمي قد استيقظت وبدأت في تحضير الفطور، دخلت عليها المطبخ لكنها تعجبت كثيرًا وسألتني إذا كنت سأذهب متأخرة اليوم إلى العمل فقلت لها:

- إنني طلبت اليوم إجازة وقد تمت الموافقة عليها.

تعجبت أكثر فمنذ أن بدأت العمل فور تخرجي من الجامعة لم أجلس بالمنزل يوما واحدا فقط، فما الذي تغير اليوم؟! لكنها لم تسألني واكتفت بقول:

- "هذا أفضل فعلى الأقل سأجد من يشاركني يومي، فالحاجة نور صديقتي الوحيدة في العمارة ليست متفرغة ولن أتمكن من الصعود إليها اليوم".

لم أكن أعلم بأنهما صديقتان، فدائمًا ما ظننت أن أمي تجلس طوال اليوم في الشقة تشاهد التلفاز وتتصفح مواقع التواصل الاجتماعي!

تناولنا الفطور وشربنا الشاي ثم جلسنا في الشرفة وتحادثنا قليلًا وكعادة أمي عندما تُتيح لها الفرصة تتطرق إلى موضوع الزواج، ألا تملّ أبدًا من الحديث في نفس الموضوع

مرارًا وتكرارًا؟! في كل مرة أخبرها: إنني عندما أجد الشخص المناسب سأتزوجه دون مماطلة وسأجعلها تفرح بي كما تريد، لكنني حتى الآن لم أستطع أن أجده.

هذا ما أخبرها به كل مرة، لكن في الواقع الشخص المناسب الذي أبحث عنه حزين الآن وأريد أن أفعل أي شيء لمساعدته لكن بأي صفة لا أعلم!

أخذتني أمي على حين غرّة وسألتني:

- أين كنتِ عندما استيقظت؟

ارتبكت قليلًا ثم أخبرتها: إني كنت بالأعلى أعرض المساعدة لكنهم رفضوا، فقالت لي:

- لنصعد إليهم مرة أخرى.

وبالفعل هذا ما حدث وقضينا اليوم بأكمله نقدّم العون الذي بمقدورنا.

ظلت أمي تقضي يومها مع الحاجة نور كعادتها لكن بفرق واحد؛ وهو أنها تواسيها وتخفف من حزنها بدلًا من التحدث معها عن مجريات الأمور وأخبار الجيران وأسعار الخضروات مثل أيّ سيدتين مصريتين تجمعهما جلسة واحدة، وهذا ما جعل أمي تبدأ في انتظار عودتي حتى تخبرني بما لم تستطع قوله للحاجة نور.

على أيّ حال ودون التحدث في تفاصيل كثيرة قد تزعج بعضكم، عُدت من عملي ووجدت أمي تنتظرني على أحر من الجمر وفور دخولي الشقة وقبل أن أخلع حذائي أخبرتني أنها سمعت صديقتها المقربة "الحاجة نور" تتشاجر مع ابنها اليوم بصوت عالٍ على غير عادتهم، فمنذ قدومهم إلى عمارتنا من عشرين عامًا لم نسمع لهم صوتا سوى يوم الوفاة.

صعدت أمي مُسرعة إليهم لتهدّئ من روعهم قليلًا، وقبل أن تطرق الباب وجدت عُدَىّ يفتحه بعصبية، اعتذر منها ثم رحل ودخلت هي إلى صديقتها وأغلقت الباب.

عرفت منها أن سبب شجارهما هو بعض التعثرات المادية بشركته الجديدة مما اضطره لطلب قرض من البنك لكنه رُفض، مما اضطره ليطلب من والدته هذا الصباح أن يبدؤوا في إجراءات إعلام الوراثة حتى يتمكن من أخذ نصيبه وتسديد ديونه ليُكمل عمله، لكن أمه قد رفضت مما أدّى للشجار.

تكلمت أمي معها بهدوء وأقنعتها بأن هذا حقه الشرعي والقانوني وبأنه لولا تعثره في الأموال لما تجرّأ على مثل هذا الطلب، فالجميع يعلم كم كان يُحب والده ولن يتحدث أحد من خلف ظهورهم ويقول: إنهم انتظروا وفاته بفارغ الصبر حتى يتمكنوا من أخذ أمواله كما تعتقد هي!

لا أعلم لِمَ تخبرني أمي بكل هذا؟ ولا أعلم أيضًا لِمَ انتابني الفضول لأستمع بكل هذا التركيز رغم الآلام التي أشعر بها برأسي نتيجة الصداع، لكنني قمت بأبحاثي يومها وعرفت بأن فريق التسويق الخاص بشركته ليس لديه الخبرة الكافية لهذا العمل ومن حسن حظه أو حظي أيهما أقرب فمجال دراستي وعملي هو التسويق ويمكنني تقديم العون له في أزمته تلك.

***

يقول الأتراك القدامى:

- "عند موت شخص عزيز عليك فإنه يشتعل في قلبك أربعون شمعة، ومع مرور كل يوم تنطفئ شمعة من تلك الشموع حتى تنطفئ الأربعون كلها، لكن تأتي رائحة أو ذكرى قديمة من ذلك المُتوفَّى فتشتعل تلك الشموع مرةً أخرى للأبد!".

بعد مرور خمسين يومًا من الوفاة استيقظتُ على صوت أمي وهي تُحدثني لكني لم أفهم كلمة واحدة أو بالأحرى لم أسمع كلمة واحدة، أوقفتها عن الكلام واعتدلت بجلستي وبدأت باستيعاب أننا ما زلنا بالتاسعة مساءً؛ أي أنني لم أنم سوى ساعةٍ واحدة منذ عودتي من العمل، لابد أن يكون سبب الاستيقاظ مهمًّا للغاية وإلا لما هُنت على أمي!

- "ماذا هناك يا أمي؟ فلم يحل الصباح بعد".

قلت هذا بصوتٍ ناعس للغاية.

أجابتني: عليكِ التركيز بكل كلمة سأقولها الآن؛ لذا سأعد لك كوب قهوة واستمعي إليّ جيدًا بعدها.

بعد خمس دقائق عادت أمي وبيدها كوب من القهوة المفلترة مع حبة من دواء مُسكّن للصداع حتى أتمكن من فهم ما هي على وشك قوله!

تناولت الدواء وبعدها رشفة من قهوتي المُرة وانتبهت لأمي فقالت:

- عُدَيّ يريد الزواج منك!

لا أعلم وقتها هل توقف الوقت أم أن نبضات قلبي تسارعت أم أن أنفاسي انقطعت؟ كل ما أعلمه الآن أنني لم أعد أشعر بشيء ولا أسمع شيئا وكأني انفصلت عن العالم نهائيًا، حتى تلك الأصوات التي لطالما أزعجتني لوجودها برأسي لم أعد أسمعها الآن!

بعد مرور بعضٍ من الوقت كان بالنسبة لي طويلا لكنه بالواقع حوالي بضع ثوان، جلستُ أمام أمي حتى إنني أكاد أجزم أنني جلست على حجرها وأمسكت بيدها بإحكام ونظرت داخل عينيها وقلت:

- أعيدي ما قُلتِه منذ قليل مرة أخرى رجاءً!

أمي: لقت قلت: إن عُدَيّ جارنا بالطابق العلوى يريد الزواج منك.

حسنًا، أستطيع أن أوكد لنفسي الآن أنه حلم ليس أكثر، فكيف لشخص قد تُوفّي والده منذ خمسين يومًا فقط لا أكثر بالإضافة لمشاكل شركته التي لم تُحلّ بعد وما زالت فوق رأسه، لكنه لديه الطاقة الكافية ليفكر بالزواج أيضًا، إنها هلاوس بالتأكيد!

عُدت إلى مكاني وأخذت رشفة أخرى من قهوتي التي تزامن طعمها المُر مع سؤال أمي:

- لم أسمع رأيك بعدُ؟!

أنا: بأي موضوع؟!

أمي: الزواج من عُدَيّ!

أنا: هل تتكلمين بجدية حقًا؟ لقد ظننت أنها هلاوس أو مزحة غريبة!! عُدَيّ يفكر بالزواج بهذا الوقت! ومِن مَن؟ مني أنا؟!

أمي: لكن هناك ما يجب أن تعرفيه أولًا.

بالطبع هناك ما يجب أن أعرفه أولًا، هل تكتمل فرحتي بأي شكل حتى تكتمل الآن؟!

يا تُرى ماذا ستقول أمي؟!

الفصل الثاني

حُلم أَم حقيقة

- "لقد زارهم اليوم المحامي الخاص بوالد عُدَيّ وأخبرهم أن هناك وصية قد تمت كتابتها قبل الوفاة بحوالي ثلاثة شهور ومحتواها أنه على عُدَيّ الزواج وإلا سيتم التبرع بنصيبه في الميراث لإحدى الجمعيات الخيرية، فكرت الحاجة نور كثيرًا ولم تجد شخصًا مناسبًا لابنها أفضل منك لذلك طلبت يدك اليوم مني فما رأيك؟".

قالت أمي تلك الكلمات وتركتني لأفكر فيما سأفعل قائلة:

- "خذي كل الوقت الذي تحتاجينه فعُدَيّ لم يوافق بعد وما زال يفكر هو الآخر!".

اشتعل بقلبي أربعون شمعة مثل التي اشتعلت بقلبه عندما أتاه محامي والده بذكرى مِنه، لكن أعتقد أن شموعي مُحرقة أكثر، فهل هناك حُزن يُضاهي كسر قلب فتاة كل أملها أن يعترف لها حبيبها بحُبهِ؛ ظنًا منها أنه ينتظر الوقت المناسب لكن عندما تأتيه تلك الفرصة يقفُ في حيرةٍ؛ لأنه ببساطة لا يُفكر بها!

***

سحبني من شرودي صوت هاتفي وهو يقول:

- "متيجي نبدّل الأدوار، وأشوف نفسي بعين منك، هكابر ليه ودايبة أنا فيك؟ وقعت خلاص بقى يا سيدي".

نظرت فوجدته رقما غريبا لا أعرفه.أجبت على الهاتف قائلة:

- مرحبًا، من أنت؟

المتصل: مرحبًا، أنا عُدَيّ جاركم بالدور العلويّ!

هل ما سمعته صحيح أم أنني أهلوس هذه المرة حقًا؟!

أنا: مَن؟!

المتصل: عُدَيّ ابن الحاجة نور والحاج إبراهيم رحمة الله عليه.

أنا: رَحِمه الله.

المتصل: آمين.

أنا: من أين لك برقمي؟

عُدَيّ : أخذته من هاتف والدتي إن كنتِ لا تمانعين، فقد أردت التحدث معك بخصوص شيءٍ ما.

أنا: وما هو؟

عُدَيّ : هل يمكن أن نتقابل؛ فالحديث على الهاتف هكذا لن يُجدي؟!

أنا: لا أعلم، سأنظر في جدولي وأراسلك بالوقت المتفرغة فيه!

عُدَيّ : لكن من فضلك ليكن في أقرب وقت؛ فالموضوع عاجل!

أنا: انتظر لحظة من فضلك، ليس لديّ وقت فارغ بالأيام القادمة لكن عادة ما أذهب إلى المقهى المجاور لمقر عملي في وقت الاستراحة، سأرسل إليك الموقع ولنتقابل هناك غدًا في الثانية ظهرًا، هل هذا مناسب معك؟

عُدَيّ : سأنتظرك هناك، إلى اللقاء.

أنا: حسنًا، إلى اللقاء.

"أغدًا ألقاك؟ أغدًا ألقاك؟ يا خوف فؤادي من غدِ! يا لشوقي واحتراقي في انتظار الموعدِ! آه كم أخشى غدي هذا وأرجوه اقترابًا! كنت أستدنيه لكن هبته لما أنابَ، وأهلت فرحة القرب به حين استجابا، هكذا أَحتمل العمر نعيمًا وعذابًا، مُهجة حَرّى وقلبًا مسّه الشوق فذابا، أغدًا ألقاك؟".

دائمًا ما كانت أم كلثوم هي ملجئي الوحيد في التعبير عن مشاعري المختلطة بصوتها الرخيم هذا الذي لطالما ذُبت وأنا أسمعها تقول فقط الآه، وهل هناك ما يُعبر عما يدور بخلدي الآن أكثر من تلك الكلمات الرائعة التي كتبها الشاعر السوداني الهادي آدم وتوّجها صوت الست لنستمع إليها بهذا الشكل الجميل؟!

لم أستطع النوم الليلة من كثرة الحماس، وعندما أيقنت أنه لا مفر فقد فرّ النوم من عيني بدأت باختيار ملابسي التي سأرتديها مثل الأطفال ليلة العيد، وكيف لا يكون عيدًا وغدا سألقاه لأول مرة وحدنا؟! ما الذي سيقوله يا تُرى؟

حلّ الصباح بطيئًا فضربات قلبي كانت أسرع من عقرب الثواني بل إن وُجِد عقرب للحظات لكانت دقات قلبي أسرع منه، هذا هو مقدار بطء الوقت في لحظات الانتظار!

ارتديت فستانًا قصيرًا باللون الأخضر الفاتح؛ فهذا هو لونه المفضل مع بنطال ضيق باللون الأسود حتى لا تظهر أرجلي وحجابًا أبيض، لطالما قالوا لي إن الحجاب الأبيض يُبرز ملامحي ويزيد من جمالي، حسنًا دعونا نكتشف هذا اليوم!

انتظرت الساعة الثانية بفارغ الصبر وعندما حلّت انتظرت ربع ساعة أخرى ثم أخذت حقيبتي السوداء المتوافق لونها مع حذائي، لقد حاولت اليوم أن أبدو بأفضل أحوالي

وأن تبدو ملابسي متناسقة حتى أرسل إليه أنني بانتظار هذا اليوم منذ زمنٍ بعيد لكنني سأكون صعبة المراس قليلًا!

ذهبت إلى المكان الموعود ووجدته بانتظاري ممسكًا بسيجارته في يده اليسرى ويده اليمنى مُمسكة بملعقة وتقلب القهوة التي أمامه، اقتربت منه أكثر فوقف لتحيتي، لا أعلم أكان وسيمًا بهذا القدر دائمًا أم أنه ازداد وسامة عندما أطلق لحيته قليلًا؟ على الرغم من أنه لم يُهندمها بشكلٍ كافٍ إلا أنها على وجهه كإحدى التحف الفنية لدافنشي أو ما شابه!

بالإضافة إلى لحيته ونظارة الشمس السوداء ارتدى قميصًا أبيض وبنطال بدلة لونه رمادي فاتح وجاكت بدلة "كاجوال" بنفس لون البنطال مع حذاء كلاسيك وكأنه خرج للتو من أحد المسلسلات التركية التي لطالما تابعتها ويكون فيها البطل صاحب شركة وغني، ولسببٍ ما يتعرف على بنت فقيرة ويجبرها على العمل معه أو الدخول بحياته بأي شكلٍ كان!

أعتقد أنه يمكنني القول: إن بطلي المفضل يقف أمامي الآن بل ويُلقي عليّ التحية!

هو: تفضلي.

أنا: أشكرك.

هو: ماذا تشربين؟

أنا: قهوة إن أمكن!

بعد أن أحضر النادل قهوتي بدأ عُدَيّ في الكلام قائلًا:

- لا أعلم من أين أبدا ولكنكِ بالطبع على علم بوفاة والدي!

أنا: رحمة الله عليه.

هو: آمين.

ثم أكمل بصوتٍ متوتر:

- أرجوكي لا تقاطعيني حتى لا أنسى ما أريد قوله!

أنا: حسنًا، تفضل.

هو: أشكرك، قبل وفاة والدي بفترة تعثرت ماديًا بشركتي وطلبت منه المساعدة وبالفعل كان على وشك إعطائي ما أريد من أموال لكنه مرض قليلًا؛ لذلك أجّلنا هذا لفترة حتى تتحسن حالته الجسدية وتُوفي قبل أن يُعطيني الأموال.

ثم أكمل بصوتٍ حزين:

- وبعد موته ببضعة أيام تعثرت شركتي أكثر فطلبت من أمي أن نبدأ في إجراءات إعلام الوراثة حتى أتمكن من أخذ نصيبي وتسديد ديوني لكنها لم توافق وأعطتني بعضًا من مدخراتها، وبالفعل تمكنت من تسديد مبلغ بسيط وعليّ دفع الباقي قبل انتهاء المهلة المحددة؛ أي قبل مرور شهرين من اليوم وإلا سيأخذون مني شركتي التي تعبت كثيرًا من أجلها، تكلمت كثيرًا أليس كذلك؟!

- أكمل من فضلك!

خرجت من فمي تلك الكلمات بينما عقلي يخشى ما سيسمعه بعدها وقلبي على وشك أن يتوقف عن النبض!

هو: زارنا المحامي منذ عدة أيام أخبرنا: إن أبي قد كتب وصية ويجب تنفيذها، لابد أن والدتك أخبرتك بشيء كهذا؟!

أنا: لقد فعلت فعلًا!

هو: حسنًا.

بصوت متوتر مرة أخرى مع زيادة في الارتباك:

- لا أعلم كيف أقول هذا؟ لكنني بحاجة ماسة للميراث فشركتي هي كل ما تبقى لي ولا يمكنني خسارتها هي الأخرى، أرجو منك مساعدتي لأحتفظ بها!

أنا: هلا قلت بوضوح ما تريد!

وكأن عقلي يريد سماع تلك الكلمات التي على وشك نطقها ليتأكد من فقدان الأمل بتلك العلاقة والأحلام الواهمة.

هو: حسنًا، لقد أخبرتني أمي بالأمس أن والدتك اقترحت عليها أن نتزوج حتى أتمكن من استلام ميراثي، لكن لا تقلقي سيكون زواجًا مزيّفًا؛ أي على الورق فقط لا أكثر وإن أردتِ البقاء بشقة والدتك فلا مانع لديّ على الإطلاق، فهل تتزوجينني؟!

أنا: انتظر من فضلك، هل قلتَ لتوك: إن والدتي هي من اقترحت فكرة الزواج؟!

قال متعجبًا: هذا ما أعرفه!

قلت وأناألملم أشيائي: عليّ الذهاب إلى مكان ما الآن، أستأذنك في الرحيل!

هو: لكنك لم تجيبي على سؤالي بعد!

قلت باستنكار: سأراسلك بالرد قريبًا، عليّ التفكير لبعض الوقت!

اتصلت بأستاذ حسام مديري بالعمل وطلبت منه إجازة بدون مرتب لمدة أسبوع، في البداية لم يوافق ولكن مع تمسكي بما أريد ومع رصيد إجازاتي المتوفر وافق بعد عناء.

أغلقت بعدها هاتفي وتوجهت إلى محطة القطار وركبت أول واحد متجه إلى بلدتنا، قررت أن أقيم مع جدتي لبعض الوقت حتى أستجمع أفكاري وألملم شتات نفسي.

لا شيء بهذا العالم يُضاهي رائحة بيت جدي والشعور بالأمان المرتبط بتلك الرائحة، بذلك البيت المتواضع اعتاد جدي أن يُعدّ لنا ألذ شاي بالعالم، وصنعت جدتي أطيب خبز بالكون حتى إن أفضل الطهاة لا يمكنهم معرفة سرّه!

أتعلمون، رغم وفاة جدي منذ عدة سنوات إلا أن طعم شايه ما زال بحلقي، ورغم أن طعم الخبز الذي تصنعه جدتي لم يعد كما كان إلا أنه ما يزال الألذ!

رغم أن رائحة جدي بدأت تتلاشى شيئًا فشيئًا إلا أن هذا البيت الذي يبدو صغيرًا بالنسبة للبعض ما زال وسيظل القصر الكبير والحصن المنيع والمكان الوحيد بالعالم الذي أشعر فيه بالطمأنينة!

هكذا هم الأجداد، بالرغم من رحيلهم إلا أنهم يتركون لنا أماكن وذكريات لنعيش بها ما تبقّى من عمرنا مهما قابلنا من أناس بعدهم.

***

استقبلتني جدتي بحرارة كالعادة ولكن تلك المرة كانت أشد؛ فقد غِبتُ عنها مدة أطول من المعتاد، دائمًا ما كانت أحضان جدتي دافئة مما يُجبرني على ترك دموعي لتنهمر على صدرها والبوح بما يُحزنني لها.

بعد أن وضعت جدتي أمامي ما لذّ وطاب لأتناوله بحجة أن تغذيتي ضعيفة وأن النحافة قد تمكنت مني مما أدّى لاصفرار وجهي، تناولت بضع لقيمات حتى لا أُحزنها ثم استأذنت منها لأذهب لزيارة قبر جدي وقراءة الفاتحة له وتبادل الهموم مع عظامه المتحللة قليلًا!

وهناك حاول حارس المقابر أن يسقي النباتات المزروعة أمام جدي لكنني أعطيته بعض النقود وطلبت منه بعض الماء لأسقيها بنفسي وشددت على ضرورة تركي وحدي قليلًا بحجة الدعاء باستفاضة للمتوفَّى خاصتي.

***

عُدت بعدها لبيت جدتي وبدلت ملابسي ثم وضعت رأسي على قدميها وغبت في سباتٍ عميق، استيقظت في الصباح الباكر على رائحة الحليب الطازج والخُبز المُعد حديثًا؛ فجدتي تحب الخَبز بعد صلاة الفجر مباشرةً وخصوصًا لو كان لي حتى أتناوله طازجًا مع كوب الحليب وطبق القشدة على الجُبن القريش، إنها أفضل وجبة على الإطلاق.

بعد أن تناولنا طعامنا وشربنا الشاي، سألتني جدتي السؤال الذي انتظرت إجابته منذ الأمس: ماذا بك يا صغيرتي؟

أنا: لا شيء يا جدتي العزيزة، لا تقلقي.

جدتي: لا ينطلي عليّ يا صغيرتي هيا أخبريني.

تكلمت بعصبية قائلة:

- حسنًا، ابنتك يا جدتي لطالما حلمتْ باليوم الذي تراني فيه عروسة بالفستان الأبيض، وهذا حقها طبعًا وخصوصًا لو كنت ابنتها الوحيدة، ولكن...

سكتُّ قليلًا ثم أكملت:

- لا تهتمي يا جدتي سنحل الأمر عند عودتي.

جدتي: ماذا فعلت لتُغضبكِ إلى هذا الحد؟! هيا أخبريني.

أجبت وقد بدأت قطرات الدموع تتساقط من عيوني مرة أخرى وأغلظ صوتي:

- جارنا بالطابق العلوي تُوفي منذ عدة أيام وظهر قريبًا أنه وضع وصية ويجب على ابنه أن يتزوج حتى يتمكن من أخذ ميراثه، فماذا تفعل أمي؟ تعرض عليهم أن يتزوجني وكأن وجودي بالبيت أصبح غير مُرحّب به وبأنها تريد التخلص مني.

مسحتُ دموعي وحاولت أن أنظّم أنفاسي المتقطعة ثم أكملت:

- ألقت بي لرجل لا يريدني ولا يحبني، رمتني لرجل لا يريد سوى الأموال لينقذ شركته، رجل لا يراني ولن يراني حتى ونحن تحت سقف شقةٍ واحدة!

جدتي: لك الحق وكل الحق في أن تغضبي، لكن عندي سؤال، هل هذا الرجل هو عُدَيّ الذي لطالما أحببته؟!

سبق وقد أخبرتها عنه لذلك لم أتعجب كثيرًا عندما سألتني هذا السؤال، بل صمتُّ قليلًا وجاوبت بعدها:

- نعم هو، لكن ما الفارق؟!

جدتي: حسنًا، ما الذي يمنعك من الموافقة إذًا؟

قلت بتعجب: ما الذي تقولينه يا جدتي، أقول لك: إن الرجل لا يحبني ولا يريدني وأنت تقولين: ما المانع؟!

جدتي: هل تظنين أن الحب شيء ضروري للزواج؟ سأخبرك بشيء لم أقله من قبل.

نظرتُ لها وظهرت على وجهي علامات الإنصات والتركيز فأكملتْ قائلة:

- أتعلمين أنّنا زوجنا والدتك قسرًا؟!

علت وجهي علاماتُ التعجب والدهشة وقلت:

- مَن؟ أمي؟! كيف هذا وأنا أكاد أجزم أنه منذ أن رأت عيناي الدنيا وقلب أمي لا ينبض إلا باسم أبي؟!

جدتي: سأحكي لكِ القصة كاملة.

اعتدلتُ بجلستي ونظرت لجدتي باهتمامٍ شديد والشوق يملؤني لأعرف كيف حدث هذا، فأكملتْ قائلة:

لقد أحبّت أمك شابًّا من أولاد الجيران وظنّت أنه يُبادلها نفس الشعور حتى فوجئت به وهو يتقدم لخطبة أعز صديقاتها! وبالفعل وافقت الفتاة وتمت الزيجة وحزنت والدتك وقتها كثيرًا لكن هذا لم يكن شيئًا، عرفنا بعدها بفترة أن تلك الفتاة قد حاولت كثيرًا أن تتقرب من هذا الشاب حتى وقع بحبها رغم معرفتها بحب والدتك له فانهارت أمكِ كثيرًا وقتها وبدأت برفض كل مَن يتقدم لها حتى إنها لم تكن تقابلهم على الإطلاق.

سكتت جدتي قليلًا وظهر الحزن بعينيها عندما تذكرت حالة ابنتها ذلك الوقت فسألتُها عن باقي القصة حتى تبوح بما يحمله صدرها من آلام فأكملت:

- قرّرتُ أنا ووالدها أن نزوّجها لشخص نراه مناسبا لها حتى تتمكن من تخطي تلك الأزمة التي تمرّ بها وترى أنه لم يكن خيرًا لها، فلو كان خيرًا لتزوجته هي بدلًا عنها ولبَطُلت كل ألاعيب تلك الفتاة.

أنا: وماذا حدث بعد ذلك؟!

جدتي: تذكرنا والدك المُلِحّ، فكلما تقدم لوالدتك ورُفِضَ انتظر حتى يتقدم لها شخص آخر وبطريقة ما يبعده عن طريقها ثم يتقدم مرة أخرى، لا أتذكر كم مرة تم رفضه بالتحديد لكنها بالتأكيد أكثر من خمس عشرة مرة!

أنا: أكثر من خمس عشرة مرة؟!

جدتي: نعم!.. وافقتُ أنا وجدك بالنهاية على أمل أن يكون خير عِوض ومعين لها، وبالفعل حدث ما توقعناه والدليل على ذلك عندما قلتِ: إن والدتك لم تُحب غير والدك!

أنا: يا لها من قصة غير متوقعة! يبدو أنني أعرف ماذا سأفعل الآن.

بعد تفكير قليل للتأكد مما سأفعل وبالتحديد عند منتصف الليل فتحت هاتفي ووجدت وقتها عشرين مكالمة فائتة من والدتي وعشرًا من عُدَيّ ! أرسلت برسالة نصية له محتواها:

"عزيزي زوجي الزائف المستقبلي، تحية طيبة وبعد أرجو منك أن تُطمئن والدتي عليّ فأنا بخير حاليًا بل بأفضل حال، وأعتذر منك عن ذهابي مسرعة عندما تقابلنا، أما بعد أود أن أُبلغك بموافقتي على عرضك ولكن حتى وإن كان زواجنا زائفًا فعليه أن يبدو حقيقيًا أمام الجميع، هذا هو شرطي الوحيد، لذلك أرجو أن تتواصل مع أمي لتتصلوا بعمي وتحددوا معه موعدًا لتتقدم لخطبتي وفقًا للعادات والتقاليد، أنا لا أُفكر بالزواج حاليًا ولا أعتقد بأني سأُفكر به مستقبلًا، أريد هذا فقط لسعادة أمي لا أكثر فمن المعلوم أن

كلّ أم تتمنى أن ترى فتاتها الصغيرة بالفستان الأبيض، سأعود للمنزل خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر، يمكنكم ترتيب أموركم وفقًا لهذا الموعد".

ثم أرسلت رسالة أخرى لأمي ومحتواها:

"مرحبًا أمي، لا تقلقي أنا بخير سأعود للمنزل قريبًا كما أنني أخبرت عُدَيّ بالتفاصيل، تواصلي معه رجاءً ليطلعك عليها، إلى اللقاء".

ثم أغلقت هاتفي مرة أخرى.

الفصل الثالث

نحن نشترى رجلًا

وبعد يومين من تلك الرسالة استيقظت وأخبرت جدتي بأني سأعود إلى القاهرة صباح اليوم التالي، عندها وبالفعل في اليوم الثالث تناولت فطوري وبدلت ملابسي وودعت جدتي ثم استقليت أول قطار متجه إلى القاهرة، وفور وصولي لمحطة شبرا الخيمة اتجهت لأقرب محل حلويات واشتريت طبق حلويات مشكّل ونصف دستة "جاتوه" بعد أن فتحتُ هاتفي مرة أخرى واتصلت بأمي وعرفت منها أن الموعد المتفق عليه هو اليوم!

بعد أن وصلت للبيت أخبرت أمي: إني كنت عند جدتي فلم أعتد المكوث خارج البيت كل هذه المدة دون إخبارها لكنني لم أتفاجأ كثيرًا بمعرفتها فبالتأكيد قد اتصلت جدتي بها وطمأنتها عليّ فور وصولي عندها!

وضعت الحلويات بالثلاجة حتى لا تفسد ثم بدلت ملابسي وأخذت جولة بالشقة لأرى ما الذي يحتاج لترتيب وتنظيف لأفعله، ثم أعددت الطعام للمساء وأخرجت من دولابي شيئًا يليقُ بتلك المناسبة السعيدة ظاهريًا العجيبة باطنيًا.

أخرجت "أندر درِس" لونه أسود وعليه "كارديجان" مُخطط بالطول باللونين الأبيض والأسود مع حزام على الخصر لونه أسود وحجاب نبيتي وحذاء أبيض ولم أضع وقتها أيًّا من مستحضرات التجميل ولأكون أكثر وضوحًا فأنا لا أملك أيًّا منها؛ لأني لا أُحبذها على الإطلاق؛ لأنني أُفضل المظهر الطبيعي لوجهي بكل عيوبه وجماله البسيط.

ارتديت ملابسي وتوجهت لمطبخنا ووضعت خمسة أكواب عصير على صينية التقديم وخمسة أطباق حلويات على صينية أخرى، حملت العصير وسِرْتُ ببطء نحو الصالون، وجدت عمى جالسًا بالكرسي المقابل للباب وعلى الأريكة المجاورة له جلست أمي مع الحاجة نور "حماتي المستقبلية الزائفة" وعلى طرف الأريكة المقابلة لهم جلس عُدَيّ ، نظرت إلى الكرسي المتبقي لأتجنّب الجلوس بجواره لكنني وجدته ممتلئا بالأشياء التي يُحضرها العريس معه من شيكولاتات وورود ولم أجد مفرًّا من التواجد على طرف الأريكة الآخر.

قدمت لهم المشروبات ثم جلستُ بمكاني الفارغ، لم أفكر بما يحدث حولي هذا الوقت حتى أكاد أُجزم بأنني أكتشف ولأول مرة أن السجادة الموضوعة بصالون بيتنا تحتوي على مائة وخمسين وردة منها سبع وتسعون لونها أزرق والثلاث والخمسون الآخرون لونها أحمر! كما أنني ظننت أننا فقدنا هذا البرواز العتيق المعلّق على الجدار خلف أمي، فمتى عاد لمكانه ومَن أعاده؟! كما أن الورود التي أحضرها عُدَيّ هي المفضلة لديّ فكيف عرف ومتى أو بالأحرى من قال له: إني أُحب زهور الروزا البيضاء؟!

انتشلني من مستنقع شرودي صوته الذي يذيب جبال الثلج بقلبي وهو يقول:

- عفراء، عفراء، نحن نخاطبك، ألا تسمعيننا؟!

بالمناسبة "عفراء" هو اسمي، يبدو أنني نسيتُ أن أخبركم به في البداية! على أي حال، أجبته قائلة: آسفة، ماذا تقول؟!

عُدَيّ : يبدو أنك شردتِ منّا!

قلت وأنا أشعر ببعض الحرج: نعم قليلًا، هل هناك ما فاتني؟!

عُدَيّ : ليس بالكثير، لقد اتفقنا على كل شيء ستخبرك والدتك بالتفاصيل، وإذا أردت تغيير شيء أخبروني، لكن عمك يريد أن تكون فترة الخطوبة سنة كاملة لكنني أقول: إنه لا داعي لكل تلك المدة ويكفي ثلاثة شهور، فما رأيك؟

قال تلك الكلمات وعيناه تقولان: أرجوك أنقذيني.

أنا: أعتقد أنه حتى ثلاثة شهور قد تكون طويلة؛ فنحن جيران منذ سنوات ولا أظن أن السنة ستضيف شيئًا جديدًا، لذا أنا موافقة على اقتراحك.

ونظرت له وعيناي تقولان: لا تقلق كل شيء سيكون بخير.

عمي: وكما يُقال: العروس للعريس والجري للمتاعيس، على بركة الله لنعلن الخطبة الخميس القادم والفرح سيكون بعدها بثلاثة شهور بإذن الله!

أمي: مُبارك يا صغيرتي، مُبارك يا صهري.

الحاجة نور: مُبارك يا ابنتي، مُبارك يا ابني.

أنا: الله يبارك فيكم جميعًا.

عُدَيّ : الله يبارك فيكم.

نظرت إلى عمي الذي لم يقم بتهنئتنا وبدأت أُفكر: هل تَضايق؛ لأنني لم أوافق على السنة ووافقت على اقتراح عُدَيّ؟ لكن ما بيدي حيلة؛ فالغرض الأساسي من الزيجة بأكملها لن يتحقق إذا أصبحت فترة الخطوبة سنة، أَم أنه ما زال يريدني أن أتزوج ابنه رغم زواجه وإنجاب زوجته لولد وفتاة؟ أَم أنه يغار؛ لأن عُدَيّ أفضل من زوج ابنته ذات النظرات الحقودة تلك؟!

في الأساس أنا لم أُرد أن أدعو عمي هذا، لكن وفقًا للعادات والتقاليد فتلك هي مقابلة رجال لذلك يجب أن يكون حاضرًا للاتفاق على المهر والمقدم والقائمة والذهب وغيرها من الأمور الشكلية التي لا تعني لي شيئا، كما أنني سأشارك بالنصف في كل شيء بيني وبينه، لكن أمام الناس هو من سيتكلف بكل هذا، ففي النهاية هذه زيجة زائفة!

ليظهر الأمر بشكل طبيعي أمام عمي طلب عُدَيّ منه أن نخرج في موعد وأخبره: إننا لن نتأخر، وافق على طلبه واستأذن للرحيل فلا يجوز له أن يبقى بشقةٍ مع سيدتين وحدهما، وعند ذهابه أخبرت عُدَيّ: إنه ليس هناك داعٍ لهذا الموعد فقد ذهب عمي على أي حال، لكنه أصرّ على الذهاب مما جعلني أطلب من والدتي ووالدته القدوم معنا وهناك طلب من النادل بالمكان منضدتين بكل منهما كرسيان، واحدة لنا والأخرى للوالدتين.

وبعد أن أصبحنا بمفردنا أخيرًا، أخبرني: إنه حاول إخبار والدته مرارًا وتكرارًا: إن هذه زيجة على الورق فقط لكنها لم تصدقه بأي شكلٍ كان وتظن بأن الزواج حقيقي، لذلك حتى وإن ذهب عمي فعلينا التمثيل أمام والدته دور المُحبين المتلهفين على الزواج.

أخبرته بعدها: إنني أنوي أن أساعده بتكاليف الزواج فهو غير ملزم بها كلها لكنه أصر بأن يتكفل بها كُلها دون تغريمي قرشًا واحدًا، حتى بعد الزواج قال: إنه سيتكفل بمصاريفي الخاصة ومصاريف البيت ولن يطلب من راتبي أو مدخراتي شيئًا، حاولت أن أُصر كثيرًا على مساعدته لكنه مُصمم على أن زواجي منه يكفي للمساعدة وأكثر.

لو تعلمون بما شعرت في تلك اللحظة، وكأنه النور الذي أتى في وسط ظلام حياتي لينيرها، كأن ظهري قد عاد سليمًا من بعد انكساره لنصفين عند وفاة أبي، شعرت بأنني أمام رجل بمعنى الكلمة لا يريد مني شيئا سوى إمضاء على ورقة ليضمن حقه بالميراث

حتى ينتشل عمله من الديون لا أكثر، حتى إنه سيتكفل بمصاريفي دون التفكير إذا كانت كثيرة أم قليلة، شعرت بأنني أعيش إحدى قصص مسلسلاتي المفضلة! أتمنى أن تكون نهاية قصتي سعيدة مثلها، أتمنى!

***

في اليوم التالي استيقظت بالسادسة صباحًا كعادتي وتناولت قهوتي وبدلت ملابسي وذهبت إلى عملي، فوجئت بإحدى زميلاتي المتطفلات بالعمل وهي تسألني عن موعد الخطوبة! فسألتها من أين لها بتلك المعلومة التي لم أُصرح بها لأحد ليس فقط ممن يعمل معي بل لا أحد على الإطلاق!

أخبرتها: إنها ستكون مُقتصرة على الأهل والأحباب فقط لا غير، كما أنني سألت عن مصدرها لتلك المعلومة وكيف عرفت فأخبرتني: إننا أصدقاء على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" فقلت بضيق نفس: أنني أعرف فأنا مَن قبل طلب الصداقة بالنهاية، فأخبرتني: إنها رأت المنشور الذي كتبه عُدَيّ وأشار إليّ فيه!

لم أَرَ هذا المنشور ولا أعرف عنه شيئا؛ لأنني ألغيت تلقّي إشعارات من "فيسبوك" منذ فترة طويلة، فتحت هاتفي وفوجئت بما كتبه عندما قام بتغيير حالته الاجتماعية من أعزب إلى مرتبط وقام بالإشارة إليّ وكتب: "إن الله يهب لي نعمة الجمال التي وهبها لك، ولم يُجملني بمثل ما جمّلك به من رقة الحس، وعذوبة النفس، فإن أنت أحببتني فقد أحببتِ فتى مجردًا من مزايا الفتيان لا يستطيع أن يَمُتّ إليك بمثل ما تَمُتين به إليه، ولا أن يُنيلك من السعادة ما أنلته منها، فإن كُنت ترين أن الإخلاص في الحب والوفاء بالعهد وهبة النفس هبة خالصة بلا ندم ولا أسف مَزِيةً أستحق لها محبتك فها أنا ذا أُقدمها

بين يديك، فتقبّليها مني وقولي: إنك سعيدة بي، كما أنا سعيد بك." وبعدها رمز تعبيري بقلب أحمر.

وبعد هذا الاقتباس الذي أُحبه من رائعة ماجدولين كتب بفقرة أسفله: "الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، لقد جعلتني بالأمس أسعد إنسان على وجه الأرض عندما وافقت على الزواج مني وقرأنا الفاتحة على أن تكون الخِطبة بأسرع وقت".

تحولت خدودي إلى تفاحةٍ حمراء من الخجل وأنا أقرأ ما كتبه، نبض قلبي بسرعةٍ لم يصل إليها من قبل ولمعت عيناي من جمال تلك الكلمات، لكن عقلي مُدمر اللحظات السعيدة بدأ يُفكر: "هل كتب كل هذا الكلام ليُكمل الصورة المثالية للحبيبين أمام الجميع؟"، و تذكرت وقتها أنه طلب مني حساب "فيسبوك" الخاص بي ونحن جالسان معًا بالمطعم وأرسل لي بعدها طلب صداقة وطلب مني أن أقبله عندي، هل هذا ما فكّر به وقتها؟ هل هذا المنشور مُجرد استكمال لخطته المدروسة حتى لا يشك أحد بعلاقتنا وزواجنا؟!

ارتبكت أثناء تفكيري بكل هذا؛ لذا قررت أن أُلملم أشيائي وأُكمل عملي بالبيت، لكن استوقفني هاتفي وهو يرن ووجدته عدي المتصل! يا تُرى ماذا يريد؟

أجبته بصوتٍ منزعج قليلًا: مرحبًا.

فأجابني بصوتٍ حنون: مرحبًا حبيبتي، لِمَ يبدو صوتك متضايقًا هكذا؟!

هل قال لي حبيبتي لتوّه أَم أنها هلاوس؟!

أنا: هل قلت حبيبتك؟!

عُدَيّ : نعم حبيبتي، هل هناك شكٌ بهذا؟!

أنا: لا أعلم، على أي حال، ماذا هناك؟

عُدَيّ : هل أنتِ متفرغة؟!

أنا: تقريبًا فكنت على وشك الخروج من العمل الآن.

عُدَيّ : جميل، فأمي تتساءل: متى سيحين لنا الوقت لنشتري فستان الخِطبة والحجز عند خبيرة تجميل لهذ اليوم؟ فكما تعلمين وقتنا ضيق!

أنا: لا أعتقد أن هناك داعيًا لكل تلك التكاليف، فستكون بالنهاية بين الأهل والأحباب فقط، أليس كذلك؟

عُدَيّ : لقد اتفقت والدتي مع والدتك على أن نحجز قاعة كبيرة وندعو كل المعارف.

أجبت باستغراب: كل المعارف! ومتى حدث هذا الاتفاق بالتحديد؟

عُدَيّ : هذا الصباح بعد ذهابك للعمل!

أنا: بالطبع بعد ذهابي للعمل وكيف ألا يكون، وهل حاولت تغيير رأيهما؟

عُدَيّ : في الواقع، لقد اتفقا مع بعض محلات فساتين السهرة وأخذا مواعيد لليوم حتى نذهب ونُلقي نظرة على ما لديهم، ولم أستطع أن أفعل شيئا؛ لأنني استيقظت على صوتهما وهما يتواصلان مع بعض القاعات ليريا المناسبة منها للموعد المتفق عليه!

"قال هذا بصوتٍ مُرتبك؛ خوفًا من ردة فعلي، فمن المعروف عني حتى بين الجيران أنني لا أُحب أن أُوضع أمام الأمر الواقع، وهذا ما حدث بالضبط".

أجبته بصوتٍ أكثر ضيقًا من ذي قبل:

- حسنًا، بما أنهما يريدان حفلةً كبيرة وبما أنهما قد بدآ بالترتيبات بالفعل فليختارا هما ما يريدان، أَما أنا فلديّ عمل عليّ أن أُنهيه!

قال بصوتٍ يستعطفني:

- لكن أمي مريضة كما تعلمين ولا تستطيع الذهاب لكل تلك المحلات بيوم واحد.

أنا: وكم عددها بالضبط؟

أجابني بصوتٍ مُتردد: خمسة عشر!

حاولت أن أتمالك أعصابي وأتكلم بهدوء:

- عادةً أنا لا أقوم بالتسوق في المحلات؛ فليس لديّ الوقت الكافي لهذا، حتى وإن كان لديّ فليس لديّ الصبر الكافي للنظر بأكثر من محل لأشتري حذاءً حتى، وجميع المنتجات التي أستخدمها أو أرتديها أطلبها من الإنترنت من مواقع موثوقة، فهل أنت مُدركٌ ما تطلبه مني؟!

أجابني بنفس الصوت الذي يستعطفني:

- أرجوكِ فأنا لا أفهم بمثل تلك الأشياء.

لم أستطع أن أتمالك أعصابي أكثر من هذا؛ لذا تكلمت بعصبية وقلت:

- وهل أنا من يُفهم بها؟!

خيم الصمت للحظاتٍ على المكالمة ثم أدركتُ أنني فتاة وأن ما نتحدث عنه فستان لذا من الطبيعي أن أكون مَن يُفهم بها، كما أنني أدركتُ أنني ما زلت بالمكتب لذا أخذت حقيبتي وخرجت من الشركة وأنا أُكمل المكالمة قائلة بهدوء:

- حسنًا سأذهب معك كما يريدان، لكن ليكن بعلمك سيكون هناك تعويض عن هذا اليوم فلن يمرّ مرور الكرام هكذا!

عُدَيّ : وأنا موافق على ما ستطلبينه من الآن، سأمر عليك بالعمل لنتحرك معًا.

أنا: لقد خرجت منه منذ قليل، سأكون بذلك المقهى الذي تقابلنا فيه المرة السابقة.

عُدَيّ : اتفقنا، إلى اللقاء إذًا.

أنا: إلى اللقاء.

***

جلستُ بالمقهى بمكان مقابل للباب حتى يتمكّن من رؤيتي عند دخوله، وأخرجت حاسوبي المحمول "اللابتوب" وفتحته وبدأت العمل عليه، بعد مرور حوالي نصف ساعة نظرت إلى ساعتي ثم نظرت إلى الباب لأراه بالصدفة وهو يدخل، لا أعلم هل شعر قلبي بقدومه أَم أنها مجرد صدفة كما قلت أَم لأنني شممت عطرًا مشابهًا لذلك الذي يضعه لا أعلم؟!

هلَّ عليّ بطلّته البهية التي دائمًا ما تُذيب قلبي وهو مُرتدٍ "تي شيرت" لونه أبيض قد أدخله ببنطال البدلة الكلاسيكية الذي لونه كحلى مع حزام أسود وحذاء كلاسيكي بنفس لون الحزام ليكتمل مظهر رجل الأعمال الجذاب صعب المنال، لكننا نرتب ليصبح لي على أي حال حتى وإن كان على الورق فاسمي سيرتبط باسمه لفترة من الزمن!

جلس أمامي وطلب من النادل قهوته ثم بدأ بالنظر إليّ بطريقة غريبة، أتعلمون تلك النظرة التي تبدأ فيها أعين البطل في اللمعان عندما ينظر إلى البطلة في الأفلام؟ أعني

تلك النظرة التي تحدّث عنها مينا مسعود في آخر مشهد في فيلم "The royal treatment" تلك هي ما أتحدث عنها!

فسألته بتعجب: هل أنت بخير؟!

عُدَيّ : نعم، وأنت؟

أجبته بتردد: أعتقد أنني بخير!

عُدَيّ : ألم يحدث شيء يُلفت انتباهك اليوم؟

أنا: لا أتذكر، لِمَ؟!

قال بصوت بدا عليه خيبة الأمل قليلًا: لا شيء!

أنا: حسنًا، لنتفق من الآن أنني لا أحب التسوق لذا لن نحتاج إلى الذهاب لكل تلك الأماكن الموجودة على قائمتنا، سأختار من أول مكانين أو ثلاثة على الأكثر!

عُدَيّ : يكفي أن يُعجبك ما ستختارينه سواء ذهبنا إليها أجمع أَم إلى اثنين فأنا أُحب التسوق ولا مشكلة لديّ!

أنا: تُحب التسوق؟!

عُدَيّ : أعلم أن هذا غير شائع بمجتمعنا لكنها حقيقة، ما المشكلة في هذا؟!

أنا: لا يوجد مشكلة على الإطلاق!

عُدَيّ : حسنًا، لنبدأ من هذا المكان فهو الأفضل بينها.

ثم أراني صورة على هاتفه لواجهة أحد المحالّ المخطط الذهاب إليها.

أنا: يبدو جيدًا.

وبدأت رحلة البحث عن الفستان والحذاء وخبيرة التجميل والقاعة وقائمة الطعام الذي سيُقدّم للضيوف والبدلة ومستلزماتها وغيرها من أمور علينا الانتهاء منها، لقد كان يومًا متعبًا حقًا.

الفصل الرابع

عُشّ العزوبية!

بعد حفلة الخِطبة بأسبوع وبالمناسبة لقد كانت صاخبة للغاية وخصوصًا باليوم الذي يليها فلم يتوقف هاتفي عن الرنين من كثرة الرسائل والمكالمات للتهنئة والمُباركات، قام عُدَيّ بمهاتفتي بالساعة الخامسة عصرًا تقريبًا ليخبرني: إننا سنبدأ رحلة البحث عن الأثاث والمفروشات المطلوبة للشقة، كما أننا سنبحث عن عامل دهان لدهان الحائط ومهندس ديكور جيد لترتيب الشقة بشكل مُبدع.

حاولت أن أتملّص كثيرًا من تلك المشاوير لكن لم أستطع، وعرفت وقتها أن رحلة البحث عن فستان خطبة ليس بشيء أمام رحلة تأسيس عش الزوجية المستقبلي!

تحولت قائمة الاتصالات الخاصة بي في يوم وليلة من قائمة تحتوي على أرقام عملاء ورجال أعمال إلى عُمال؛ سواء دهان أو كهرباء أو سيراميك وغيرها، وتحول معرض الصور الخاص بي من ملصقات إعلانات إلى معرض أثاث من أَسِرّة وكراسي إلى أكواب ومعالق! لقد تحولت حياتي مائة وثمانين درجة.

لكن ما لا أستطيع نسيانه أنه في أحد الأيام أمسكت بي وأنا أسأل إحدى زميلاتي المتزوجات بالعمل عن أفضل طقم أواني للطهي أهو "الجرانيت" أَم "السيراميك" أَم "التيفال"؟ وإن كنت سأشتري "نيش" فهل يجب أن يكون كبيرًا أَم صغيرًا؟!

وفي يوم آخر وجدت رقمًا غريبًا يهاتفني ويخبرني: إنه النجار وعليّ الذهاب إليه على الفور لأختار لون طقم "السفرة" حتى يتوافق مع لون الحوائط!

وبيومٍ آخر هاتفني عامل الكهرباء وأخبرني: إن عُدَيّ قد سقط مغشيًّا عليه بالشقة ولا يعلمون كيف يتصرفون معه، وكما هو متوقع لملمت أشيائي مُسرعةً وذهبت إليه لكنني فوجئت به وحده بالشقة وقد رتّب لعشاء رمانسي على ضوء الشموع كالمواعيد الغرامية وما شابه!

سألته يومها: لِمَ يبالغ في تصرفاته وهو من قال: إنني أستطيع البقاء بالشقة مع أمي بعد إتمام عقد الزواج حتى يأتي وقت الطلاق؟ استشاط وقتها غضبًا ولم يستطع أن يتمالك أعصابه لكنه لم ينطق بحرف واحد بل اكتفى بتكسير كل ما هو موجود على المنضدة، حتى إن إحدى قطع الزجاج المتطاير خدشت يدي فأسرع باتجاهي وضمّدها وعندما اطمأنّ عليّ تركني بالشقة وحدي وغادر!

بنفس اليوم ليلًا عندما عاد كلٌّ منا إلى بيته رسالني على تطبيق "واتساب" معتذرًا عن غضبه وتَرْكه لي وحدي هناك، ووعدني بأن هذا الفعل لن يتكرر مرة أخرى وبأنه لن يبالغ بأفعاله ففي النهاية هذا زواج مؤقت واطمأنّ على جرحي ثم أغلق التطبيق.

عندما أنهيت معه المحادثة فكرت كثيرًا: هو لم يقل يومًا: إن زواجنا زائفٌ بل على العكس تمامًا لقد نعتني مرارًا بحبيبته ودائمًا ما كنت أبرر هذا بتواجد والدته بجواره أو شيء من هذا القبيل، كما أنه لو يعتقد أن هذا الزواج زائف لِمَ سيحرص على أن نخرج بأكثر من موعد؟ بل والمثير للاهتمام لِمَ سيحرص على أن يتواجد على رأس العمال دائمًا حتى وإن كان هذا مُجهدًا له؟!

أظن أنني مَن كان يردد تلك الكلمات والمبررات دائمًا حتى لا أصدق ذلك الحلم الذي تحول لحقيقة في يومٍ وليلة، أنا من خاف أن يُصدق بأنه يُحبني مثل ما أُحبه، أنا من

خاف أن يرفع آماله عاليًا حتى لا يسقط أرضًا مثلما يحدث معه دائمًا، أنا من خاف من تكرار خيباته مرة أخرى حتى وإن اختلف الموضوع!

منذ ذلك اليوم قررت أن أبدأ في التعامل معه بلطف أكثر، لكن يبدو أن الوقت قد تأخر، انتظرته كثيرًا ليقول لي حبيبتي حتى أجيبه بحبيبي لكنه لم يفعل، انتظرت أن يدعوني لموعد غرامي كعادته حتى أتأنق لأجله فقط لكن لم يحدث، حتى إنني انتظرته ليأتي معنا لشراء الثلاجة والغسالة وغيرهما من الأجهزة الكهربائية لكنه أرسل والدته بدلًا عنه بحجة الانشغال في بعض الأعمال!

قبل حفلة الزفاف بشهر تقريبًا وجدته يهاتفني أخيرًا ليخبرني: إنه علينا الاتفاق على فستان الزفاف؛ هل سنقوم بتأجيره أم سنشتريه؟ فأخبرته: إنه لا فرق بالنسبة لي، قال لي وقتها: إننا سنتقابل باليوم التالي لنرى آخر صيحات الفساتين المعروضة ونقرر وقتها، ثم أغلق المكالمة التي لم تستغرق سوى دقيقة على الأكثر لكنها قد أعطتني أملًا بعلاقتنا من جديد.

***

بصباح اليوم التالي اتصلت عليه لأخبره: إنني في انتظاره فأخبرني: إنه على وشك النزول وسيمر عليّ لننزل معًا، لم أره منذ شهر تقريبًا؛ لذا فأنا متلهفة للقائه ومحادثته من جديد، عندما رن جرس الباب ذهب مسرعةً كالطفلة لأفتح له وفوجئت به قد تبدلت أحواله كثيرًا؛ فبعد أن كان يرتدي ملابس مهندمة ومنسقة أصبح لا يبالي بمظهره كما أنه قد أطلق لحيته قليلًا مما أخفى وسامته ولم يضع من عطره الذي افتقده أنفي كثيرًا، على عكسي تمامًا فقد اخترت ملابسي بالأمس بعناية شديدة وقمت بكيها حتى تبدو منهدمة!

على أي حال يكفي أنني سأقضي اليوم معه وسأحاول بكل تأكيد أن أُصلح ما أفسدتُه من قبل.

فتح لي باب المصعد ودخلنا إليه فسألته: هل أنت بخير؟

فأجابني: أعتقد ذلك! وأنت؟

أجبته: أظن ذلك أيضًا!

ثم ساد الصمت، حتى بعدما ركبنا السيارة وتحركنا حاولت أن أفتح المذياع لكنه أغلقه مرة أخرى وكأنها رسالة مشفرة منه تقول: لا تحاولي فقد طفح الكيل!

وصلنا إلى أول مكان ومع كل فستان زفاف قمت بتجربته أمامه كنت أشعر بتلك النظرة تقترب من عينيه مرة أخرى، كنت أشعر بعودته إليه لذا ماطلت كثيرًا لأكون صادقة رغم إعجابي بأول ثلاث فساتين إلا أنني أردته هو وليس شيئا آخر فأنا لا أحب اللون الأبيض على أى حال!

بعد أن قمت بتجربة حوالي عشرين فستانا بخمسة أماكن مختلفة سألته عن رأيه وأي منها يمكنني اختياره، أخرج هاتفه وأراني صورة قد التقطها لي دون أن أشعر وقال لي:

- أعتقد أن هذا هو أفضلهم.

فوافقت على اقتراحه وقمنا بحجزه لنأخذه لاحقًا. سألته بعدها إن كنا سنشتري بدلته ومستلزماتها اليوم أيضًا فأخبرني: إنه قد تعب قليلًا كما أنه قد جاع لذا ذهبنا لأقرب مطعم وتناولنا طعامنا، ثم أكملنا طريقنا وبحثنا عن البدلة المناسبة له والحذاء المناسب لها والحذاء المناسب لفستاني، ثم أخذنا كل تلك الأشياء ووضعناها بالسيارة.

في طريق العودة اتصلت أمي وأخبرتني أن أقابلها بمكانٍ ما؛ لأن لدينا مشوارا علينا الذهاب إليه، سألتها عنه فقالت: إنها ستخبرني عندما تقابلني وقالت لي: إذا كان عُدَيّ بجواري فلينتظر معي؛ لأنه سيذهب معنا! عندما أخبرته بهذا ابتسم ابتسامة خبيثة قليلًا وهرش بمؤخرة رأسه ثم وافق على طلبها، لا أعلم لِمَ ابتسم كأنه يعرف إلى أين نتجه أو خمن المكان؟ لكن على أي حال سنكتشف قريبًا!

***

أخذتنا أمي إلى أحد محلات الملابس الداخلية للسيدات لشراء ملابس نوم وغيرها من الأشياء، عندما توقفت السيارة أمام المحل ظننت بالبداية أنها تعطّلت رغم أنها سيارة حديثة إلا أن هذا أول ما بدر لذهني، بعدها طلبت منا أمي النزول وعندما أخبرتنا أمي: إن هذا هو المكان الذي نقصده اتسعت عيناي ذهولًا وتحوّل وجهي بالكامل للون الأحمر وتجمّدت مكاني مما جعله ينفجر ضحكًا وسط الشارع!

توجهت إلى الرصيف مرة أخرى وأوقفت سيارة أجرة وأنا أخبر أمي: إنني لن أعود معها إلى هناك حتى وإن كلفني هذا حياتي، وإن كانت مُصرّة على شراء تلك الأشياء فيمكنها الذهاب وحدها، ثم دخلت سيارة الأجرة وطلبت منه الذهاب!

لاحظت أنه دخل في أكثر من شارع غريب عن الطريق المفترض السير فيه وعندما سألته عن السبب أجاب: إنه يعرف طرقًا مختصرة لكن الشوارع التي نسير بها تبدو مُريبة ومخيفة كما أنها مظلمة بعض الشيء، انتابني الشك وأرسلت بثًّا حيًا لموقعي أو كما يطلقون عليه بالإنجليزية "live location" إلى عُدَيّ .

أرسل إلى رسالة نصية ليطمئن عليّ فمن الواضح أن الشك كان بمحله وأن تلك الطرقات ليست آمنة، عندما لم أستطع الإجابة على رسالته من توتري وخوفي قام

بالاتصال لكن سائق سيارة الأجرة أمرني ألا أجيب، لذا ضغطت على تلك الإشارة الخضراء لكن لم أضع الهاتف على أذني وبدأت بمحادثة السائق:

أنا: لماذا لا تريدني أن أجيب على تلك المكالمة فقد كانت من العمل؟ ولماذا تسير من طرق شبه مظلمة هكذا؟!

السائق: لا تقلقي يا حلوة، لقد أخبرتك من قبل أن هذا طريق مختصر!

أنا: إلى أين؟

السائق: ألست على مشارف الزواج؟!

أجبت بتعجب شديد: نعم لكن من أين لك أن تعرف وما علاقة هذا بالطريق المختصر؟

نظر إليَّ وعيناه لا تحمل سوى الشر ثم قال: إنه الطريق المختصر لليلة زفافك ولكن العريس مختلف!

قلت بغضبٍ شديد: ماذا تقصد يا هذا؟ هل جننت أنت؟

أجابني بصوتٍ حاد: أُصمتي قليلًا ودعيني أستمتع بجمال وجهك أملًا أن يكون الباقي منك جميلًا مثله.

حاولت كثيرًا أن أفتح الباب لكنها سيارة حديثة وقد أوصد أبوابها جيدًا من لوحة التحكم عنده، وباءت كل محاولاتي بالفشل، أملي الوحيد الآن هو ألا ينقطع اتصال الانترنت لا في هاتفي ولا هاتف عُدَيّ حتى يتمكن من معرفة مكاني وإنقاذي سريعًا قبل فوات الآوان.

بعد مرور نصف ساعة من صعودي على متن سيارة الأجرة المشؤومة تلك سمعت سيارة شرطة تسير خلفنا وأوقفتِ السائقَ، نزل ضابط من السيارة "لا أعلم كثيرًا عن ترتيب مناصبهم" لكن يبدو أنه ذو منصب عالٍ فقد ارتبك السائق كثيرًا عندما رآه فقد نظر إلى أكتافه أول شيء!

نزلت أخيرًا من تلك السيارة وحاولت أن أشرح للضابط أن هذا الرجل حاول اختطافي لكني فوجئت به يقول:

- هل أنتِ بخير يا آنسة عفراء؟

أجبته باستعجاب: إنني بخير!!

فكيف له أن يعرف اسمي لكنه تعجُّب ممزوج ببعض الراحة والاطمئنان، فور أن خرجت كلمة "بخير" من فمي وصل عُدَيّ إلينا وحينما رأى السائق استشاط غضبًا ووجّه له لكمةً قوية ثم تبعها الكثير من الصفع والسّباب والضرب، وبصعوبة بالغة تمكن رجال الشرطة بمساعدة الضابط الذي أنقذني من تخليص السائق من يديه.

توجه بعدها فورًا إليَّ وهو يسألني بلهفةٍ وخوف إن كنت بخير، أجبته:

- إنني بأفضل حال حاليًا.

فهدأ روعه قليلًا ثم قدّم لي صديق طفولته الرائد أدهم سُليمان الذي لم يتردد لحظة في مساعدته لإنقاذي من أيادي هذا الوحش عديم الإنسانية والمروءة.

أحضر لي بعدها علبةً من عصير التفاح الذي أحبه وزجاجة مياه ثم ركبنا سيارته وشكرنا صديقه وبعدها توجهنا إلى البيت، لم يتركني إلا بين أحضان أمي ليتأكد من سلامتي.

في صباح اليوم التالي استيقظت على صوته بشقتنا فارتديت ملابس الصلاة الخاصة بي وخرجت لأراه، طلب مني أن نخرج لتناول الفطور معًا لكنني أبيت الخروج من المنزل بعد حادثة الأمس، تفهّم شعوري وتناول معنا الطعام بالمنزل ثم تركتنا أمي نجلس وحدنا قليلًا بالشرفة.

قال لي وقتها بألا أقلق من أى شيء وإن كنت لا أريد الذهاب للعمل ثانية فلا مانع لديه وإن كنت خائفة من الخروج وحدي مجددًا فهو على استعداد أن يكون الحارس والسائق الشخصي لي وسيتفرغ لتوصيلي إلى عملي وأخذي منه كل يوم، قال لي نصًا:

- يكفيني أن تطمئني للخروج من المنزل من جديد، وأن تعود حياتك لطبيعتها ففي النهاية تمكنّا من إنقاذك وحتى وإن لم نتمكن فعلى التأكد بأنها لم تكن غلطتك، يكفيني بأن تشعري بالأمان من جديد.

قال تلك الكلمات بالتحديد وشعرت بعدها بأنني أستند على جبل لو عصفت الأعاصير من حولى سيظل ثابتًا لن يتحرك، شعرت حينها بأنه لا داعي بأن أظل أمثّل دور المرأة القوية التي لا يهزها رياح، لا داعي بأن أخفي ضعفي أمامه فهو من سيمدني بالقوة بعد الآن.

قال وهو يغمز بإحدى عينيه وعلى وجهه نفس الابتسامة الخبيثة في محاولة منه لتغيير الموضوع:

- تعلمين بالتأكيد أنه ما كان ليحدث أي من هذا لو لم تصري على الذهاب وتركي أنا ووالدتك أمام هذا المحل، ففي النهاية سترتدين تلك الملابس لي ولابد أن تناسب ذوقي!

احمررتُ خجلًا عندما سمعتْ آذاني تلك الكلمات، فضحك قليلًا ثم قال:

- حسنًا، حسنًا لنغير الموضوع مجددًا.

***

أكملنا بعدها ترتيبات الزواج وهو يرافقني في كل خطوةٍ أخطوها وأكملنا أيضًا شراء تلك الأشياء المدعوّة بالرفائع، لكن لأكون أكثر إصنافًا لها، هي ليست برفائع على الإطلاق بل هي لعنة؛ عندما تبدأ بشرائها فهي لا تنتهي إلا بارتدائك لهذا الفستان الأبيض وأحيانًا ما تتذكرين شيئًا جديدًا وإذا ما كانت لديك الشجاعة الكافية ستذهبين لشرائه بالفستان في طريقك لقاعة الزفاف!

الفصل الخامس

شهرُعسلٍ أَم بصل؟!

انتهت أخيرًا ترتيبات الزفاف وستظهر الحقيقة قريبًا، سأعرف اليوم حقيقة مشاعره تجاهي، اليوم سنضع أسماءنا بجانب بعضها البعض، سينغلق علينا الباب ونحن بمفردنا لأول مرة، سيظهر على حقيقته، سأعرف إن كان يدّعي الحُب طوال تلك الفترة أم أنه يحبني بحق، هل كان يمثل أمام والدته والجميع أن مشاعره حقيقة؟!

توقفت السيارة المزينة بالورود أمام باب قاعة الزفاف ونزل منها ببدلة العريس المزينة ببعض الحلي الخاص بها، فتح لي الباب فتعلقت بذراعيه كالطفلة الصغيرة، دخلنا القاعة على أنغام: "طلّي بالأبيض طلّي يا زهرة النيسان، طلّي يا حلوة وهلّي بهالوجه الريّان، وأميرك ماسك إيديكِ، وقلوب الكل حواليكِ، ورد وبيلسان".

عندما وصلنا لمنتصف القاعة توقفت الأغنية وطلب منا مُنسق الأغاني أن نرقص معًا رقصة فردية، وضع يده اليمنى على خصري وشعرت حينها برعشة تتملك كامل جسدي، سحبني لأقترب منه ثم ترك خصري وأمسك بيديَّ الاثنتين ووضع كل واحدة منهما على كتف، وبعدها وضع يديه الاثنتين على خصري مرة أخرى وبدأ يتمايل بي وعيناه تنظران داخل عينيَّ.

حاولت أن أتماسك وأتصرّف كالعروس الطبيعية ففي النهاية لقد رقصت مع زوجي ليس إلا! مر الحفل على خير وذهبنا إلى شقتنا أخيرًا، ودّعنا أهلنا وأغلق الباب وأصبحنا وحدنا.

تأكد من ذهاب الجميع وعندها تحولت تعبيرات وجهه كثيرًا وسقط بعدها أرضًا من كثرة الضحك وقال:

- لقد نجحت الخطة كما رسمتها تمامًا!

سألته متعجبة: عن أي خطة يتحدث، فقال تلك الكلمات التي خشيت سماعها منذ لحظة موافقتي على تلك الزيجة وهو يضحك:

- مسكينة أنتِ يا حلوة، هل ظننتِ حقًا أنني أحببتك؟ لقد كان كل شيء ضمن خطة مدروسة ومحكمة، لقد عرفت بأمر تلك الوصية قبل وفاة والدي بأسبوع تقريبًا، وحالته الصحية كانت تسوء يومًا بعد يوم وقال لي الأطباء: إنه على انتظار وفاته بأي وقت بزوايا المستشفى، ومن وقتها وأنا أفكر بتلك الخطة، طلبت من والدتي أن نبدأ بإجراءات إعلام الوراثة مبكرًا بحجة ديون الشركة حتى تظهر تلك الوصية للعلن سريعًا لكنها رفضت لذا اضطررتُ لانتظار مرور الأربعين وطلبت من المحامي أن يزورنا دون معرفة أمي وبالفعل نفّذ الساذج ما قلته بالحرف، أنا من أقنع والدتك بفكرة الزواج مني بطريقة غير مباشرة أيضًا، أنا مَن وضعك داخل قفصي الحديدي دون أن تشعري!

لم تعد قدماي تتحملانِي، لا أعلم هل ازداد وزني فجأةً أَم أنني ظننت أني فراشة تطير وسط حقلٍ مليء بالزهور وبسبب كلماته تلك تحولت لصخرة فوق جبلٍ تتدحرج على منحدراته لتقع على الأرض؟ وكما وقعت تلك الصخرة سقطتُ أنا الأخرى وخانتني عيناي بتلك اللحظة وبدأت بالبكاء.

قبل أن أنهار تمامًا أكمل كلامه وقال:

- أتعلمين، سائق الأجرة هذا الذي حاول اختطافك؟ أنا مَنِ استأجره ليفعل فعلته تلك وسيأخذ مقابل كل لكمة وجهتها إليها وكل يوم سيقضيه بالسجن، كان يجب أن أشعرك بعدم الأمان من دوني وهو كان وسيلة المساعدة!

تلطّخ فستاني الأبيض بألوان مساحيق التجميل التي اختلطت بدموعي وسقطت عليه ونظرت إليه بحزنٍ شديد وأنا أفكر: هل هذا هو الفستان الذي لطالما حلمت بأن أرتديه معه؟ هل تلك هي الليلة السعيدة التي انتظرتها كثيرًا؟ لكنني عندما سمعت تلك الكلمات الأخيرة لم أبالِ بأي شيء حينها واستجمعت ما تبقّى لي من قوة ووقفت أمامه وقلت:

- وماذا فعلتُ لك لتنتقم مني هكذا؟!

قال بكل برود:

- أردتُ أن ألقّنك درسًا بالحياة لن تنسيه أبدًا، أعلم كم تحبينني؛ لذا أردت أن تتأكدي بالطريقة الصعبة من عدم وجود حُبٍ بتلك الحياة البائسة، أعلم كم أنت ساذجة!! لطالما كنتِ كذلك منذ كنا صغارًا، تثقين بكل مَن يمر أمامك وتعطفين على كل جريح، ولطالما أبغضت طبعك الحنون هذا!! حتى صديقتك التي خانتك معي أتتذكرينها؟ تلك التي كنت تطلبين منها الرحيل لتقفي بانتظاري تحت السلم وتغنين لكنها بطريقة ما ارتبطت بي! ألم تسامحيها؟ ألم تعطيها فرصة ثانية؟ يا لك من غبية ساذجة!! لذا أردت تغييرك للأبد!

سمعت بعدها صوت قلبي ينكسر وتوقفت أنفاسي لجزء من اللحظة، لكنني لم أترك هذا الشعور ليهزمني، لا يمكنني أن أبدو بمظهر الضعيفة أمامه مرة أخرى، أخذت بعدها نفسا عميقا ووقفت أمامه بقوة لم أعهد مثلها من قبل وقلت بكل ثبات:

- نعم أؤمن بالحب وبالفرص الثانية وبإمكانية تغيير الأشخاص، وسأظل أفعل إلى أن يتوفاني الله، فهذا ما علمني إياه أبي ولن تتغير نظرتي للناس بسببك أو بسبب غيرك، لكن أتعلم شيئًا، يوجد أناس بهذا العالم لن يتغيروا مهما حدث لهم بسبب مرض قلوبهم وعدم رؤيتهم للخير بالناس وأنت أولهم، نعم لقد أحببتك منذ صغري، نعم لقد وصلت لمرحلة أن كل ذرة بجسدي لا تلفظ إلا اسمك، لكن أصبحت الآن أكرهك بقدر حبي لك، بل أكرهك بقدر عشرات أضعاف حبي لك وأكثر، لطالما حلمت باليوم الذي أرتدي فيه الأبيض من أجلك، لكن الآن لا أتمنى سوى أن أرتدي الأسود عليك حتى أتمكن بعدها من الاستمتاع بتلك الأموال التي وضعتَ خطتك من أجلها ومن أجل تلقيني هذا الدرس الذي لن أتعلمه أبدًا، لقد قمتَ بهدر وقتك ووقتي!

استشاط غضبًا عند سماعه ما قلتُه وأمسك بذراعي بقوة شديدة وقام بضمي إلى حضنه بالعنوة وألصق جسده بجسدي واقترب مني كثيرًا حتى شعرت بأنفاسه الساخنة على خدي، ثم قبّلني من شفاهي بالقوة ومزّق فستاني في محاولة منه للاعتداء على جسديًا لكنه تراجع في آخر لحظة وألقى بجسدي على الأرض بجانب فستاني الممزّق وقال بغضب:

- تصرفي معي بأدب وأحسني اختيار كلماتك بعد الآن وإلا ستكون العواقب وخيمة، فهذه المرة تركتكِ باختياري أما المرة التالية لن أتركِكِ إلا وأنتِ تحملين طفلي بداخلك! هيا ابتعدي من أمام عيني!

- أكرهك.

خرجت تلك الكلمة من فمي الملطخ بأحمر الشفاه، أخذتُ بعدها ما تبقّى من الفستان لأحاول ستر جسدي شبه العاري ثم دخلت لإحدى الغرف لأبقى وحدي بين جدرانها منتظرة ما سيحدث لي بعد هذا!

في صباح اليوم التالي استيقظت على صوتِه وهو يطرق باب الغرفة:

- ماذا؟ هل تَحَلّيتِ بالأدب الآن؟

ويأمرني بالخروج. خرجت وسألته عما يريد، فأجابني بكل برود:

- تجهّزي لنسافر!

أنا: إلى أين؟!

هو: يا تُرى إلى أين يسافر المتزوجون حديثًا يا أذكى مَن أنجبتِ الأرض؟!

أنا: أولًا: منذ ليلة الأمس وأنا لا أعتبر نفسي من المتزوجين، ثانيًا: لم أتزوج من قبل لأعرف!

هو: سنسافر إلى مرسى مطروح لقضاء شهر العسل!

قلتُ بسخرية: تقصد البصل بالتأكيد.

أمسك بيدي بقوة من جديد وقال بغضب:

- تحدثي بالسمع والطاعة معي، أمامك نصف ساعة لتكوني بالسيارة وإلا سأنفّذ تهديد الأمس.

قلت بتحدٍّ: لست خائفة منك!

وقف أمام باب الشقة وقال:

- أمامك نصف ساعة لا أكثر، سأنتظرك بالسيارة!

كالمغصوبة على أمرها - وليس خوفًا منه ولا من تهديداته فهو لم يعد يهمني على الإطلاق - استحممت وبدّلت ملابسي وجهزت حقيبتي ونزلت إليه بعد ساعة ونصف من انتظاره بالشمس وبعد أن استعجلني بالهاتف ما يُقارب عشر المرات!

وضعت حقائبي بصندوق السيارة ثم ركب فنظر إليَّ ثم قال بغضب:

- لقد قلت سأنتظر نصف ساعة وليس اليوم بأكمله!!

أجبته بلا مبالاة:

- هل سنذهب أَم أنك تنوي التحرك عند حلول الليل؟ أتستطيع القيادة بالظلام للسفر ليلًا؟!

أدار وجهه باتجاه الطريق ثم وضع يده على عجلة القيادة وهو ينفخ من الغضب؛ "لو كان تِنّينًا لأخرج وقتها النيران من فمه وأذنيه مثلما يحدث بالرسوم المتحركة وأحرقنا"، ثم بدأ في القيادة وتحرّكنا نحو وجهتنا المحددة.

عندما وصلنا إلى الفندق تكلّم مع موظف الاستقبال وأعلمه بوصولنا فأعطاه مفتاح الغرفة المحجوزة لنا، وطلب من أحد الموظفين المسئولين عن حمل الحقائب ليأخذ خاصتنا، وبعدها صعدنا إلى الغرفة وأعطى للموظف بقشيشًا وكل هذا الوقت ونحن نتظاهر بدور المتزوجين حديثًا كما طلب مني، فور أن أغلق الباب علينا ابتعدت عنه كمن يبتعد عن عقربٍ لدغه!

عند دخولنا الغرفة كان هناك الحمّام على يميننا ثم بعدها نسير لمسافة مائة وثمانين سنتيمترًا تقريبًا وبعدها نتمكن من رؤية السرير والشرفة وما تبقّى من الغرفة.

عندما ابتعدت عنه توجهت إلى الشرفة لأرى المنظر الذي نُطل عليه، لكن توقفت عندما وجدت سريرًا واحدًا دون وجود كرسي أو أريكة للنوم عليها فقلت بتعجب:

- لا يوجد غير سرير واحد، لماذا لا يوجد اثنان؟!

ثم بعدها تذكرت أننا من المفترض زوجان حديثان فمن الطبيعي أن يكون سريرًا واحدًا فشعرت وقتها بغباءٍ شديد لم أشعر به من قبل، فأصحلت من الوضع قائلة:

- أقصد ألا يوجد أريكة أو ما شابه؟!

أجابني: لم أطلب منهم، إن كنتِ لا تريدين النوم بجواري فستنامين على الأرض!

نظرت إليه باستحقارٍ شديد وقلت بغضب:

- أفضّل النوم على أرصفة الشوارع بالهواء الطلق والبرد القارس على النوم بجوارك على ريش النعام الدافيء فما بالك بأرض حجرة بفندق؟ ستكون كالنعيم بالنسبة لي بالتأكيد!

تيقن حينها بأنه لن يستطيع كسر شوكتي بسهولة فقال:

- سأنزل إلى حمّام السباحة قليلًا لأمتع عينيّ بالحسناوات اللاتي بالأسفل، يمكنك فعل ما تريدين حتى عودتي وعندها سنرى النعيم الذي تتحدثين عنه!

قال تلك الكلمات القليلة واعتصر بعدها الألم قلبي؛ فقد كسر كبريائي وأهان أنوثتي وضرب بكرامتي عرض الحائط، لكن ما يزيد الطين بلة هو أنني بالرغم من الألم الذي أشعر به إلا أن الغيرة قد تملّكتني ففي النهاية أنا أُحبّه ولن أتمكن من كُرهه بين يومٍ وليلة.

لقد أحببته لفترةٍ طويلة بطول عمري كاملًا، ولكي أكفّ عن هذا أحتاج إلى أكثر من مجرد الضغط على الزر الموجود بقلبي! كما أن تلك العملية ستكون صعبة بعض الشيء فنحن متزوجان الآن ونعيش معًا بنفس البيت وسيكون من الصعب أن ينساه قلبي بتلك السرعة!

على أي حال، لقد انتهت تلك الإجازة الملعونة الملقبة بشهر العسل بين قضبان حجرة الفندق بينما هو كان يخرج كل صباح ولا يعود إلا مساءً ليستمتع بإهانتي بكلماته القاسية ثم يخلد للنوم، وعندما يسأله أحد عني بالصدفة فحجته هي "أنني لا أحب الاختلاط بالناس كثيرًا لذا أفضل البقاء بالغرفة وحدي بينما هو شخص اجتماعي جدًا ويحب التواجد بين الزحام، لكن بالرغم من اختلاف شخصياتنا إلا أننا نتفق على شيء واحد؛ ألا وهو حُبنا لبعضنا البعض وأن يُكمل كلٌّ منا حياته بأسلوبه المعتاد دون تضييق الحال على بعضنا أو محاولة تغيير أي منا لشخصية الآخر". فنظهر أمام الناس بمظهر الزوجين المتحابين المتفاهمين دون أدنى مجهود، لكننا في الحقيقة عكس هذا تماما!

أتعلمون تلك المقولات التي تحثنا على عدم الحكم على الأشياء من المظهر الخارجي لها مثل: "لا تحكم على الكتاب من غلافه" أو "انظر إلى الصورة كاملة لترى الحقيقة"، أؤمن بتلك العبارات جدًا كما أنها تعتبر ملخصا لحياتي التي يراها الجميع من بعيد مثالية جدًا إلا أنها في الحقيقة حزينة ومتعبة بعض الشيء! لكن حالي الآن يخبرني: إن الأمور ستتعقد أكثر وبأن الصورة ستختلف كثيرًا!

الفصل السادس

سقف الطموحات المتهالك!

في طريقنا للعودة أخبرته:

- إنني سأعود للمكوث مع أمي، لم ينطق بكلمة واحدة بل لم يلتف إليّ حتى! وفور وصولنا إلى شقتنا أمسك بذراعي بقوة وقال:

- لن تستطيعي الهروب من هذا السجن طالما حييت، اِنسي العودة إلى والدتك أو غيرها فهنا هو مكانك الوحيد بعد الآن!

في صباح اليوم التالي استيقظت مبكرًا كعادتي وحضرت الفطور وتناولته ثم احتسيت قهوتي وبدلت ملابسي وهممت للذهاب إلى العمل، لكنه أوقفني بحجة أنه لا يريد أن تعمل زوجته وأمسك بذراعي مرة أخرى وأدخلني المطبخ وقال:

- هذا مكانك من الآن، عليك بالتنظيف وتحضير الطعام حتى أعود بالمساء!

قطع بعدها الانترنت عن المنزل وشبكة التلفاز وأخذ هاتفي وبين كل حينٍ وآخر يعطيني إياه لأتكلم مع أمي بشرط أن أخبرها: إن كل شيء على ما يرام وبأنني أعيش أسعد أيام حياتي وإن لم أفعل فالعقاب هو أن يفتح الهاتف حتى تتصل هي ويجيب هو: إنني متعبة اليوم ونائمة ولن أستطيع التحدث معها، وإذا سألته عن سبب هاتفي المغلق كثيرًا فإجابته هي: إنني منشغلة به وبمسئوليات البيت الجديدة وغالبًا ما أنسى إيصاله بالشاحن فينغلق من تلقاء نفسه عند انتهاء الشحن، أما بالنسبة لمواقع التواصل

الاجتماعي فلم يعد لديّ الوقت الكافي لتلك الرفاهية فوقت فراغي أفضّل أن أقضيه مع زوجي بدلًا من العالم الافتراضي المزيف!

أتعجب كثيرًا من قدرته على تزييف الحقائق وتجهيزه لإجابات منطقية بتلك السهولة والسرعة دون أن يرمش له جفن أو يخطئ بإجابة واحدة حتى!

***

استمر الحال على ما هو عليه لما يقارب خمسة الأشهر؛ أستيقظُ في الصباح لأرتب الفوضى الناجمة عنه في المساء بعد يومي وكأني أعيش مع طفل بالرابعة من عمره! ثم بعد ذلك أُعدّ الفطور لسموّ الملك الذي أعيش معه وأعطيه إياه بسريره فهو لا يتناول فطوره على السفرة مطلقًا وكأن والدته كانت تفعل هذا؟ لكن هذا قدري وعليّ تقبله حتى تنتهي مدة السجن "عام كامل"، ثم أتناول فطوري بالمطبخ وبعدها أغسل الأطباق وأبحث عن ملابس متّسخة لغسلها وأعد الغداء وأغسل الأواني مرة أخرى ثم أعد العشاء وأتجه لغرفتي لأقرأ كتابًا أو أسرح بخيالى حتى أنام! وخلال اليوم كاملًا أحاول تجنبه بقدر المستطاع.

وبعد خمسة أشهر من العذاب وبالتحديد في أحد أيام ديسمبر الباردة جدًا خرج منذ الصباح ولم يعد حتى الليل، وفي هذا اليوم خرج كعادته بدون معطف "جاكيت" رغم إصراري على أخذه لواحد ووضعه بالسيارة لحين احتاجه لكنه لم يستمع إليّ.

لم أصرّ على المعطف خوفًا عليه أو شيئًا من هذا القبيل، ولكن كان قد خرج قبلها بشهر بملابس خفيفة واشتدت برودة الجو وهو بالخارج وفي صباح اليوم التالي

استيقظ مزكوما وبدأ بالصراخ هنا وهناك بحثًا عن علاج للإنفلونزا والزكام وازدادت مسئولياتي في تلك الفترة بين رعايته بناءً على أوامره وبين أشغال البيت!

دقت الساعة العاشرة ليلًا وبدأ المطر في الهطول لكنه لم يعد بعدُ، نظرت من نافذة الشقة بحثًا عن أثر له لكنني لم أَرَ حتى ولو قطًا صغيرًا يحاول الاختباء من البرد! الجميع بمنازلهم ما عدا هو!

فتشت عن هاتفي بين أغراضه فوجدته بأحد أدراج مكتبه بجانب صندوق خشبي مزخرف بكلمة مكتوبة بالخط العربي التقليدي، لم تشغلني تلك الكلمة كثيرًا وقتها لذا لم أحاول قراءتها، أخذت الهاتف وفتحته ثم اتصلت عليه لكنه لم يُجب بل رفض اتصالي!

اتصلت على والدتي لأسأل عليه لكنه ليس هناك فطلبت منها الصعود لوالدته لتطمئن لي عليه لكنها أخبرتني: إنهما معًا وبأنهما لا يعرفان مكانه مثلي، أثار هذا الشكوك عند والدتي فسألتني عن السبب فأجبت بالإجابة النموذجية:

- لقد كان خلاف بسيط بيننا لكنني لم أقدر على البُعد لذلك قلقت عليه وبحثت عنه عندكم!

تعجبت من نفسي قليلًا وقتها، يبدو أن تلك المقولة حقيقية: مَن عاشر القوم أربعين يومًا أصبح مثلهم أو منهم لا أتذكر بالتحديد.

دقت الثانية عشرة منتصف الليل الآن، وازداد المطر حتى إنه تحول من قطرات ماء إلى قطع ثلج صغيرة ولا يزال لم يعد حتى الآن، بدأ عقلي يُفكر إلى أين قد يذهب ولمن في هذا الوقت البارد المتأخر؟!

تذكرت أنه قبل الزفاف بفترة تقابلت أنا وصديقتي المُقربة "تمارا" معه وصديقه أدهم فحدث بينهما إعجاب وتبادلا أرقام الهواتف، فاتصلت بها وطلبت منها أن تسأل أدهم عنه لكنه ليس هناك أيضًا!

بدلت ملابسي وهممت بالخروج لأبحث عنه في الشوارع بنفسي، أثناء ارتدائي لحجابي سمعت صوت مفاتيح ترن، خرجت مُسرعة وفُتح الباب فوجدته هو واقفًا بملابس مبللة بالكامل من المطر مع جسدٍ يرتعش من شدة البرد ومن شدة التعب لا يستطيع أن يقف متزنًا!

أخذته للداخل وأحضرت ملابس جافة وبدلت له ملابسه بالكامل ثم أحضرت بطانية ولففته بها ومنشفة لأجفف له شعره من قطرات الماء المتساقطة، ثم أحضرت مشروبًا ساخنًا وأسقيته إياه وتركته ليستلقي على السرير وخرجت من الغرفة.

وقفت على باب الغرفة ونظرت إليه وإلى ضعفه وهو مُلقى أمامي على السرير لا حول له ولا قوة وتعجبت من شدته معي رغم ضعفه الشديد هذا أمام جرثوم الإنفلونزا الصغير، ثم أدرت رأسي وهممت بالخروج وقبل أن تطأ قدمي خارج الغرفة سمعتُ همسات صوته فسألته عما يريد لكنه ظل يهمس!

رجعت إليه لأعرف ما يُريد ابتعادًا عن المشاكل فوجدته يهمس باسمي بصوتٍ حزين! اتكأت على السرير بيدي اليسرى وكانت بعيدة عن يده بضع مليمترات وضعت يدي اليمنى على جبهته لأشعر بحرارته فوجدتها ساخنة، سحبت كلتا يديّ لكنه أمسك باليسرى بشدة وقال:

- أرجوكِ لا تتركيني!

ظننت أنه مستيقظ لذلك قلت له:

- أريد إحضار الماء والثلج وسأعود سريعًا!

لكنه ظل يُردد:

- أرجوكِ لا تتركيني! لا يمكنني العيش بدونك، أعلم أنني شخص لا يُطاق بسبب تصرفاته المثيرة للاشمئزاز إلا أن قلبي لم ولن ينبض لغيرك أبدًا، نعم أُحبكِ ولا أعلم لِمَ أفعل هذا معكِ؟ حتى إنني كثيرًا ما نظرت لنفسي بالمرآة وكرهتها كثيرًا لقسوتها معكِ إلا أنني بمجرد أن أراك لا أملك إلا التصرف هكذا معكِ!

سحبت يدي بسرعة البرق قبل أن أسمع كلمة جديدة وذهبت مسرعة إلى المطبخ وعقلي يُردد:

- لابد أنها لُعبة جديدة ضمن خطته حتى تظلي بشباكه، ألم تتعلمي بعد؟ إنها أكثر علاقة مؤذية بحياتك!

بينما يقول قلبي:

- كيف لمريض مُستلقٍ أمامك بكل هذا الضعف ولا يستوعب ما يقوله أنه يكذب أو يُخطط؟!

احترت وقتها لكنني أخذت الماء والثلج والقطن وذهبت لأُكمد له جبهته حتى تنخفض حرارته وأريح ضميري أمام الله.

جلست بجواره على السرير وبدأت بوضع الكمادات على جبهته وبعد أن خمدت حرارته قليلًا حاولت أن أذهب لحجرتي لأنام لكنه أمسك بذراعي مرة أخرى وقال:

- لا تذهبي!

فاستلقيت بجواره وبدأ بعدها بالارتعاش من شدة البرد والحُمّى، وضعت رأسه على صدري واحتضنته لأُدفئ جسده وغفوت في النوم من التعب على هذا الحال.

***

في صباح اليوم التالي استيقظت على نفس الحال وهو ينام بين أحضاني، تسللت من جواره وذهبت لأعدّ له الفطور ثم تذكرت الهاتف الممنوع عني فأخذته ووضعته مكانه وحينها رأيت الصندوق مرة أخرى، حاولت قراءة الكلمة المكتوبة فوجدتها "أحبك"، دفعني الفضول لأفتحه وتفاجأت بما رأيته!

أتذكرون حذائي الذي وضعته له على أحد سلالم العمارة ليراه ويبحث عن "سندريلا" خاصته؟! وجدته في هذا الصندوق ولا تتعجبوا كثيرًا فقد كان صندوقًا متوسط الحجم، كما أن قدميَّ كانتا صغيرتين، ووجدت أيضًا مِشبكَ شعرٍ فقدته منذ مدة كبيرة ولم أستطع إيجاده بالإضافة إلى قفازاتي المفضلة ذات اللون البني الفاتح!

وضعت كل شيء مكانه ووضعت الهاتف بجوار الصندوق كما كان وأغلقت الدرج وحرمت على نفسي دخول ذلك المكتب مرة أخرى ثم خرجت وأنا لا أعلم ما أشعر به بالتحديد، فالارتباك هو المسيطر عليَّ الآن بالإضافة إلى بعض المشاعر المختلطة لكن المسيطر هو الارتباك والفزع مما رأيت وسمعت بالأمس!

أخذت أحد الكتب من مكتبتي المتواضعة وجلست على الأريكة المقابلة للتلفاز وفتحت إحدى صفحاته ثم اصطنعت القراءة! بعد حوالي خمسٍ وأربعين دقيقة خرجت من

الغرفة بخطوات ثقيلة ودخلت إلى مكتبه ثم خرج مرة أخرى ومعه هاتفي وجلس بجواري ثم قال بصوتٍ ضعيف:

- أعلم أنك أخذت الهاتف بالأمس فقد وصلني عدة اتصالات منك، وأعلم أنها المرة الأولى التي تحاولين أخذه فيها لا تقلقي! تفضلي هاتفك يمكنك التصرف به كما شئت والاتصال بمن تريدين وقتما أردتِ، يمكنك اعتبار هذا كشكرٍ مقابل اهتمامك بي بالأمس أو اعتذار صغير عما بَدَرَ مني طوال خمسة الأشهر السابقة، أعلم أنني كنت شخصا فظًّا لا يُطاق وأخجلُ من قول هذا بعد مراعاتك لي بالأمس لكن هلّا قبلت اعتذاري وحاولت بدء صفحةٍ جديدة معي؟!

في الواقع لم أجد الكلمات المناسبة التي تُعبر عن شعوري بتلك اللحظة؛ لذا التزمت بحق الصمت وعدت لتصنّع القراءة مرة أخرى، وعندما وجدته ما زال جالسًا بجواري بانتظار الرد حاولت أن أغير الموضوع قائلة:

- أتشعر بالبرد؟ هل أحضر لك بطانية أو مشروبا دافئا أو شيئا من هذا القبيل؟!

أجابني بصوتٍ يملؤه خيبة الأمل:

- لا شكرًا أنا جيدٌ هكذا!

لا أعلم ما الذي انتظره؟! هل سأوافق بتلك السهولة وأحتضنه وأصرخ وأقفز من الفرح وكأن شيئًا لم يكن؟! لن تكون الأمور بذلك اليُسر مرة أخرى يا عُدَيّ أفندي!

بعدها عمّ الصمت المكان مرةً أخرى لمدة خمس دقائق تقريبًا ثم كسره قائلًا:

- بالمناسبة إذا كنت تريدين العودة للعمل مرةً أخرى فلا مانع لديّ، لا أعلم إن كانت شركتك السابقة ستوافق على عودتك أَم لا؟ لكن لديّ مكانٌ شاغر بشركتي الصغيرة

بانتظارك إن كنت لا تمانعين، كما أننا بحاجة لخبراتك بالتسويق وكتابة المحتوى على منصات التواصل الاجتماعي، فإن كنت مهتمة يمكنك البدء بالعمل من الغد أو الآن إن أردت!

لقد اعتدتُ كثيرًا على روتين يومي كَرَبّة منزل بسيطة يتمحور عالمها بين جدران بيتها، لكنني أفتقد عملي كثيرًا أيضًا؛ لذا احترت بين الموافقة على عرضه الذي يبدو من بعيد مُغريًا وبين الرفض بكل بساطة وأكمل حياتي كربة منزل أَم رفض العمل لديه والبحث عن مكان آخر؟!

طلبت منه وقتا للتفكير وتركته ودخلت حجرتي بحجة النوم طالما لا يريد شيئًا آخر، لكن في الواقع أردت البقاء بمفردي للتفكير والبحث عن عروض عمل أخرى بعيدًا عنه حتى أتمكن من طرده من قلبي بشكلٍ أيسر! نعم، فبالرغم مما فعله طوال هذا الوقت إلا أنه ما زال قلبي ينبض له وقد شعرت بالقلق عليه كثيرًا بالأمس كما أنني اتخذت مرضه حجة لأحتضنه وأشعر بضعفه بين ذراعي!

***

في صباح اليوم التالي استيقظت وحضرت الفطور وطرقت على باب غرفته ليستيقظ على غير العادة وتناولت معه الفطور على نفس المنضدة ومن نفس الطبق! ثم أعددت كوبين من القهوة وطلبت منه أن يشرح لي العمل عنده وما المطلوب مني بالتحديد!

الفصل السابع

مساعدته الشمطاء!

لمعت عيناه قليلًا أَم هذا ما بدا لي؟ لا أعلم، لكنه سألني إذا كنت متأكدة من قراري، فأجبته: نعم

أحضر حاسوبه المحمول من مكتبه وبدأ بشرح طبيعة عمل شركته "التي أعلمها من قبلُ فقد قمت ببحثي بالفعل قبل الزواج عندما أخبرتني والدتي بالأزمة المالية التي يمر بها والتي اتضح أن لا أساس لها من الوجود، وأنه قد أعاد نصب الأمور لصوابها منذ فترة مضت"، وبعدها بشرح المطلوب مني بالتحديد.

شرحت له وجهة نظري وعن الاستراتيجية التي وضعتها بعقلي أثناء شرحه وفكرتي التسويقية الجديدة ليزداد مُعدّل المبيعات لديه، وبالفعل وافق عليها وطلبت من مساعدته الشخصية "سكرتيرته" أن تعقد اجتماعًا طارئًا على الانترنت بمسئولين التسويق بعد خمس عشرة دقيقة.

طلب مني بعدها أن أتجهز ليُقدمني إليهم ولأشرح لهم فكرتي التي شرحتها له منذ قليل، وهكذا أكون قد بدأت بالعمل معه بالفعل، لكن مساعدته تلك لم تُعجبني على الإطلاق لكن ليس هذا المهم الآن بل عليّ ترك انطباع أوليّ جيد بين زملائي.

بدأ الاجتماع بتعريفي إليهم على أنني زوجته وهذا طبيعي فنحن نجلس بجوار بعضنا البعض أمامهم ولأن شاشة الحاسوب صغيرة فنحن بجوار بعضنا لدرجة الالتصاق تقريبًا! بدأت إحدى الشابات بالفريق بالترحيب بي وقالت: إنها كانت إحدى تليمذاتي

سابقًا "لقد كنت أعطي دروسًا عن التسويق والعمل الحر بأحد المراكز التعليمية وهي إحدى طلابي من هذا الوقت وقد كانت مجتهدة جدًا؛ لذا تذكرتها في لمحة بصر وبادلتها التحية".

سأل بعدها: هل تعرفون بعضكم البعض؟

أجابت الشابة بالنيابة عني: لقد اعتدت حضور دروسها عن التسويق فهي واحدة من أفضل العاملين بهذا المجال.

قال: لقد اختصرتِ عليّ الطريق الآن، بما أنكم سمعتم جميعًا رأي أحد زملائكم عنها فلا داعي لأقول المقدمة التي حضّرتها مسبقًا، لقد بدأت زوجتي بالعمل معنا لكنها بالتأكيد لن تبدأ من الصفر كغيرها؛ فهي أحد روّاد هذا المجال، لذا قرّرت أن تتقلد منصب مدير فريقكم وستكون المسئول عنكم بدلًا عني، لقد أتت بالفعل بخطة مسبقًا للعمل عليها وستشرحها لكم بطريقة تفصيلية في أول اجتماع لنا عند عودتي للشركة، هل لدى أحدكم أي استفسار؟!

سمعتُ ما قاله وشعرت بالصدمة فلم أتوقع هذا على الإطلاق، كل ما ظننته هو أنه يريدني أن أعمل عليه حتى يكون مسيطرًا على بالبيت والعمل أيضًا لكن لم أتوقع منصب مدير مرة واحدة هكذا وفي أول لقاء لي مع الآخرين!

لم يجب أحد بالخير أو الشر غير تلك الفتاة التي تشوّقت كثيرًا للعمل تحت قيادتي وقالت: إنها على أتم الاستعداد للتعلم مني مرة أخرى.

طلب من الجميع تقديم نفسه لي حتى أتعرف عليهم وبعدها أنهى الاجتماع كأي مدير محترف مُسيطر على العاملين لديه بكل دقة.

فور أن أغلق الكاميرا سألته عما قاله وإن كان على دراية بقراره هذا ومتأكدًا منه، أجابني بحسم: إنه مُصرّ على قراره وبأنه القرار الصحيح وأن المرأة التي بالرغم أني آذيتها مرارًا وتكرارا إلا أنها ما زالت تسهر على رعايته لا تستحق أقل من منصب مدير بشركته بل لو أنه نقل ملكية الشركة بالكامل لها فسيكون قليلًا عليها!

هل أصابه البرد بشيء في عقله أَم أنه بدأ يتغير حقًا؟ هل بدأ بتقدير قيمتي أَم أنها حيلة ولُعبة جديدة وسيعود كما كان بعد عدة أيام؟! أصاب الصُداع رأسي من كثرة التفكير بسر هذا التحول الذي حدث، لكن لم أستطع أن أتوصّل لإجابة منطقية تُريح عقلي لذا استسلمت وقررت أن أركز على عملي وأترك الأمور لتجري مع الرياح ولنرى معًا النتيجة.

***

بحثت عن حاسوبي المحمول وبدأت بالعمل على العرض التقديمي الذي سأعرضه على الزملاء بالاجتماع المُقبل المُقرر معاده بعد أسبوع من الآن، فوجئت به يدخل عليَّ حاملًا كوبًا من القهوة ووضعه أمامي وقال:

- يبدو أنك تحتاجينه، تفضّليه، كما أننا لم نتحدث بعدُ عن راتبك المتوقع لذا فإن كان لديك وقت فارغ أخبريني عن الرقم الذي تريدينه لأخبر فريق الحسابات ليضعوه في الحُسبان بدءًا من الآن.

أنا: لم أفكر بهذا الأمر من قبل، كما أنني لا يفرق معي كم المال الذي أتحصّل عليه طالما أقوم بعملي الذي أحبه وطالما لست بحاجة لهذا المال في الوقت الحالي، لذا يمكنك إخبارهم بما تريد!

أخرج هاتفه من جيب بنطاله واتصل بمدير الموارد البشرية وقال:

- لقد وصل إليك الخبر بالتأكيد، سأحضر لك الأوراق اللازمة لتُكمل بياناتها عندك لكن الأهم الآن أخبر الحسابات أن يضعوا لها عشرين ألف جنيه كراتب.

ثم التفت إليّ وقال: هل هذا يكفي؟!

أجبته: بل هو كثير، يُمكنك تخفيض المبلغ للنصف إذا أردتَ فقد أخبرتك مُسبقًا: إنني لا أحتاج المال وسأدخره!

قال للشخص الذي على الهاتف:

- ضع في اعتبارك سيكون الراتب عشرين ألفا كما قلت، سأتصل بك بعد قليل لتخبرني بالمستجدات عندك، حسنًا إلى اللقاء.

سألته: لماذا أصرّيت على أن تكون العشرون كاملة؟

قال: حتى لا تكوني أقل من الآخرين بالشركة، إذا أردت يمكنك الذهاب للتسوق بالبطاقة البنكية الخاصة بي حتى تتلقّي أول راتب لك.

أجبته: شكرًا جزيلًا، أعتقد بأن الملابس التي لديّ ستكون جديدة؛ فأنا لم أرتدِ معظمها على أي حال.

قال: حسنًا، سأدعك تُكملين عملك الآن.

***

انتهى الأسبوع واليوم عليَّ تقديم عرضي، لقد قدمت الكثير من العروض على عملاء كُثر لكن تلك أكثر مرة أشعر فيها بالتوتر لا أعلم لماذا، هل لأنني انقطعت فترة عن

العمل أَم لأنها أول مرة لي لأكون في منصب مدير وعلى عرضي ألا يحتوي على أي أخطاء حتى لا تهتز صورتي أمامهم في أول لقاء رسمي بيني وبينهم؟!

أظنّ أنه شعر بتوتري هذا لذا قال:

- لا تقلقي؛ فالأصدقاء بالشركة لُطفاء وستتركين انطباعا أوليًّا جيدًا بينهم بكل سهولة ويُسر، عليك فقط التصرف على طبيعتك وأنا متأكد من عرضك فقد رأيته بالأمس وهو جيد جدًا.

شعرت ببعض الطمأنينة وارتاح قلبي قليلًا، وصلنا إلى الشركة وأوّل من صادفنا هي مساعدته الشخصية وهي ترتدي بنطال جينز لونه أزرق ثلجي يكاد يلتصق بقدميها وقميصًا أبيضَ حتى خصرها فقط وحذاءً رياضيًّا بنفس لون القميص.

يا لها من فتاة ذات جسد ممشوق!! إنها مثل تلك العارضات اللاتي لا نراها سوى في التلفاز؛ ذوات الشعر الأشقر الناعم المنسدل على أكتافهن مع القليل من المساحيق التي يتم اختيار ألوانها بعناية لتتماشى مع المكان والملابس التي يرتدونها، لكنني الآن ومع الأسف أراها أمام عيني بل وتعمل مع رَجُلي طوال اليوم، لقد شعرت بالغضب الشديد الآن ونسيت توتري بالكامل!

لأبتعد عنها قدر الإمكان قلت:

- هلّا أرشدني أحدكم لمكان مكتبي حتى أرتّب أوراقي قبل الاجتماع؟!

قال: ستكونين معي بنفس المكتب حتى نرتب لك مكانا قريبا مني!

أنا: وأين يقع مكتبك هذا؟!

إنه بآخر الرواق، هذا المكتب الزجاجي الذي هناك لأتمكن من رؤية جميع الموظفين أثناء عملي.

قلت بعقلي: "جميع الموظفين أَم عارضة الأزياء تلك؟!".

ثم قلت بصوتٍ مسموع: حسنًا سأذهب إليه الآن.

ثم تركتهما لكنني وجدته قد تركها وسار خلفي لنذهب للمكتب معًا، وبعد أن دخلنا أغلق الباب وقال:

- أعرف أن مايا ملابسها غير لائقة بعض الشيء، لقد حاولت تحذيرها من هذا مرارًا وتكرارًا لكنها لا تستمع لكلامي، ما يجعلني أُبقيها هو أن لها معارفَ كثيرة وهي جيدة جدًا بعملها هذا لكن أعدك أنه...

قاطعته قبل أن يُكمل كلامه:

- ليس عليك وَعْدي بشيء كما أنك غير مطالب بتبرير أمورك لي، هل أخبرت الجميع: إنني زوجتك؟

- نعم لقد فعلت.

- لن أحاول إحراجك أو وضعك بموقف غير مُستحبّ طالما نحن هنا، وسأتصرف بناءً على كوني زوجتك، لكن فور خروجنا من هنا فأنا وأنت نعرف حقيقة الأمر، لذا دعنا لا نُطيل في الأمر وما دمنا وحدنا لنتصرف بناء على حقيقة الأمر؛ أنت مديري بالعمل ونحن نعيش معًا بنفس البيت فقط لا غير!

قال: حسنًا، كما تريدين!

لن أُخفي عليكم أمرًا؛ لقد أثارت تلك الفتاة مشاعر الغيرة والسخط بداخلي لكني حاولت إلقاء كل هذا وراء ظهري والتركيز على ما أتيت لأجله اليوم فقط لا غير.

سار الاجتماع على خير ما يرام، بل لقد فاق توقعاتي وانبهر الجميع بعرضي الذي قدمته، يبدو أنني لم أفقد لمستي السحرية بعدُ! بعد الاجتماع قام الجميع بتهنئتي على منصبي وتواجدي معهم بالشركة وتلقّيت ترحابًا كبيرًا من فريقي.

بعدما خرج الجميع من المكتب بدأت بتجميع أشيائي بحقيبتي؛ استعدادًا للعودة إلى البيت وأثناء هذا دخلت مايا علينا وهي تقول بصوتٍ مائع:

- لقد نسيت أن أخبرك يا ديدو لقد...

ثم توقفت عندما لاحظت وجودى أخيرًا وقالت بوقار:

- آسفة، لقد ظننت أنك وحدك يا أستاذ عُدَيّ ، لقد نسيت أن أخبرك: إن أحد الموردين طلب لقاءك لذا رتّبت معه غذاء عمل بالغد في الخامسة مساءً وأعدتُ ترتيب جدولك بناءً على هذا.

قال بكل حسم وتحذير:

- لقد أخبرتك مرارًا وتكرارًا سواء كنت وحدي أو معي أحد فأنا الأستاذ عُدَيّ مديرك بالعمل ولا يمكنك رفع التكاليف والألقاب بيننا، إذا تكررت مرة أخرى ستكون نهايتك معنا، يمكنك الانصراف الآن.

نظرت إليها وهي تخرج وملامح الغضب والاشمئزاز ظاهرة على وجهي، ثم أعدتُ لملمة أشيائي مرة أخرى، وعندما انتهيت أخبرته: إنني عائدة إلى المنزل.

أجابني: انتظري خمس دقائق وسنخرج معًا؛ فقد انتهيت أنا الآخر من عملي لليوم والباقي يمكنني إكماله بالبيت.

أومأت برأسي السميك هذا الذي لا يفكر بديدو التي قالتها تلك الثعبانة النحيفة بالخارج، أومأت بالموافقة وجلست على الكُرسي بانتظاره.

توقف في منتصف الطريق أمام أحد المطاعم ونزل من السيارة وطلب مني الانتظار قليلًا حتى عودته، بعد خمس عشرة دقيقة عاد ومعه طعام مغلف وقال:

- لابد أنك جائعة مثلي، لنعد إلى البيت سريعًا حتى نتناوله ساخنًا.

أنا: حسنًا.

بعدما عدنا للبيت وتناولنا الطعام ذهبت إلى غرفتي ووقفت أمام المرآة ونظرت إلى نفسي وأنا أحدثها: لديه كل الحق في عدم النظر إليّ طوال فترة بقائنا معًا فكيف سيراني وأمامه جميلة الجميلات تلك طوال اليوم؟!

يبدو أنني نسيت إغلاق الباب، لا أعلم إن كان قد سمعني أَم لا؟ لكنه سأل بعدها:

- كيف كان يومك الأول بالعمل؟!

أجبته بصوتٍ حزين بعض الشيء:

- لقد كان جيدًا إلى حدٍّ ما، هل تحتاج لشيء ما أَم أنك أتيت فقط لتسأل عن هذا؟!

هو: لا أحتاج إلى شيء، شكرًا لك.

أنا: حسنًا، لقد تعبت قليلًا اليوم وأحتاج إلى بعض الراحة، هلا أغلقت الباب من فضلك لأبدل ملابسي وأنام؟

هو: بالطبع، تصبحين على خير.

***

في اليوم التالي ذهبت إلى العمل ولم أجد تلك الشمطاء هناك، تعجّبت من الأمر كثيرًا لكن ما آثار دهشتي أكثر هو نظرات الارتباك والتوتر الممزوجة ببعض الخوف في أعين الجميع الموجّهة إليّ! لا أعلم ما مصدرها فقد كانوا لطفاء بالأمس ما الذي تغير اليوم؟!

وقف عند باب مكتبه وقال:

- ليجتمعِ الجميع الآن؛ لديّ ما أُريد أن أُعلن عنه.

اجتمع الجميع حوله فقال:

- لقد تمّ إقالة مايا بالأمس؛ لأنها تتعدّى حدود وظيفتها وتتكلم بشكلٍ غير لائق رغم أنها كانت من أكفأ الموظفين لديّ وقد أثبتت جدارتها بوقتٍ قصير جدًا، إلا أن الأخلاق هي المعيار الأول لبقائك معنا والجميع يعلم هذا، لقد تم الإعلان على منصاتنا الإعلامية المختلفة عن مكانِ شاغر، لكن من يجد في نفسه المؤهلات اللازمة ليصبح مساعدي الشخصي فليتقدمْ بطلبه إلى مدير الموارد البشرية وسيكون له الأولوية عن المتقدمين الآخرين من خارج الشركة، والآن ليلتفت الجميع إلى عمله.

لن أكذب! لقد شعرت ببعض الامتنان والسعادة بعدما عرفت هذا الخبر، لكن عقلي سلب مني سعادتي على الفور عندما طرح عليَّ عدة أسئلة أثارت آلام الصداع برأسي؛ هل سمعني وأنا أتحدث مع نفسي أمام المرآة؟! ما سر هذا التغير المفاجيء؟! هل حقًا يحبني ويحاول الآن أن يتلافى أخطاءه الماضية لأقبل حبه عندما يعبر عنه أَم أن خطته ما زالت مستمرة ولم تنتهِ بعدُ؟!

لم أستطع أن أجيب على أيٍّ من هذه التساؤلات، لذا حاولتُ أن أخفض صوتَ عقلي بدواءٍ مسكِّن للصداع والتفتّ إلى عملي في محاولةٍ مني للابتعاد عن التفكير الزائد في هذا الأمر وإنجاز ما يمكن إنجازه!

الفصل الثامن

غِيرة قاتلة!

في صباح اليوم التالي استيقظت قبل الموعد المعتاد وأعددت الفطور وتناولته وبدّلت ملابسي وذهبت إلى العمل بسيّارتي قبل استيقاظه، بعدما وصلت بنصف ساعة تقريبًا تلقيت اتصالًا هاتفيًّا منه فأجبت: مرحبًا!

هو: أين أنتِ؟

أنا: بالعمل.

هو: لِمَ لَمْ توقظيني؟

أنا: لا أعلم! أظن أنني لم أُرد إزعاجك.

هو: لِمَ لَمْ تنتظريني إذًا؟

أنا: لقد كان لديّ بعض الأعمال التي أردت إنهاءها مبكرًا.

تلك كانت إجابتي لكن في حقيقة الأمر أنا أحاول تجنّبه والابتعاد عنه قدر الإمكان حتى لا أتعلّق به وأبني آمالًا مزيفة كما حدث من قبلُ وينكسر بعدها قلبي من جديد.

هو: حسنًا، أنا بالطريق إليك.

أنا: حسنًا إلى اللقاء.

وأغلقت بعدها الهاتف دون انتظار رد منه. انغمست بعدها بين أوراقي المتبعثرة على مكتبي بأكمله وبين حاسوبي المحمول وبرامجه المفتوحة وفعّلت وضع الصامت بهاتفي

ووضعته بعيدًا عني حتى لا يشتت انتباهي، وأثناء عملي وجدت كوبًا من القهوة يُوضع على مكتبي، رفعت رأسي ووجدته هو يقف أمامي ويقول: صباح الخير!

أجبته متعجبة: صباح الخير!

قال: لم أجد فنجانك الحراريّ بالمطبخ مكانه لذا خمّنت بأنك نسيته وبالتالي نسيت احتساء قهوتك فأنتِ عادةً ما تعدّيهما معًا، لذا اشتريت لكِ كوبًا بالطريق.

أجبته ببعض الامتنان: شكرًا لك!

قال: هوّن اللهُ عليك عملك.

أجبته: وعليك.

ثم أخذت رشفة من القهوة والتفتّ إلى عملي من جديد. بعد فترة من الوقت حوالي خمس عشرة دقيقة تلقّى هاتفًا من مدير الموارد البشرية وبعدها مباشرةً طلب اجتماع جميع الموظفين حول باب مكتبه ليُعلن عن مساعده الجديد، فوجئت بأنه أحد زملائي القدامى من الجامعة، ميّزني هو الآخر وعرفني فابتسم لي ابتسامة خفيفة فبادلته الابتسام بدوري.

بعدما تفرق الجميع ألقيت عليه التحية ورحّبت به بيننا في الشركة ثم تبادلنا التساؤلات عن الأحوال وكيف كانت الحياة العملية بعد التخرج من الجامعة وما إلى ذلك من محادثات تتم بين شخصين لم يلتقيا منذ فترة بعيدة، ثم تركته وعدت لمكتبي لأكمل عملي.

في منتصف اليوم فوجئت بعُدَيّ يسألني: هل تعرفينه؟!

فأجبته: مَن تقصد؟!

قال: أقصد فارس !

أنا: لقد كان أحد زملائي بالجامعة وكان ضمن فريق مشروع تخرجي.

سأل: أهذا يعني أن علاقتكم كانت أعمق من مجرد زملاء جامعة؟!

أنا: كنا نتحدث كثيرًا ضمن فريق العمل نعم!

قال: فهمت!

شعرت بتوتره وغضبه الذي حاول أن يخفيه لكنه لم يستطع لذا قلت:

- لكن انقطعت الأخبار والاتصال بيننا من بعدها، تلك هي أول مرةٍ أراه فيها من بعد تخرجنا.

قال: وهل هو شخصٌ جيد؛ أي أنني يمكنني الوثوق به؟!

أجبته: أعتقد هذا.

قال: حسنًا، بالمناسبة ستأتين معي للغذاء هذا المساء صحيح؟

سألته: أي غذاء؟!

قال: ذلك الذي رتبته مايا بالأمس وأخبرتني عنه قبل ذهابنا.

أنا: لقد تذكرته الآن، لا أعتقد هذا، فهذا بينك وبين أحد الموردين، ما دخلي بهذا؟ كما أنك لم تُخبرني بقدومي معك من قبل!

هو بخيبة أمل ظاهره بصوته: حسنًا كما تريدين.

لا أستطيع أن أخفي فضولي أكثر من هذا لذا سألته:

- لماذا قمتَ بتغيير مايا لقد قلت: إنها جيدة بعملها؟!

نظر إليَّ بنصف عين وعلت وجهَه ابتسامة خفيفة ثم قال دون أن يرفع عينه عن حاسوبه المحمول:

- ألم تقولي بالأمس: إنني غير مُطالب بتبرير شيء لكِ وبأن العلاقة التي بيننا هي علاقة مدير وموظف لا أكثر طالما لا يوجد أحد معنا بالمكان؟ أنا لا أرى أحدًا بالمكتب غيري أنا وأنتِ!

أجبته وأنا أجزّ على أسناني من الغضب:

- أعتذر منك، لقد تعديت حدودي، لقد انتهيت من عملي لليوم سأعود للبيت الآن.

قال: هاتفيني عندما تصلين بأمان.

قلت بتعجب: ماذا قلت؟!

قال مرة ثانية: هاتفيني عندما تصلين بأمان.

قلت: حسنًا سأفعل، إلى اللقاء!

عند خروجي من المكتب قابلني فارس فألقيت عليه التحية ووقفت معه حوالي خمس دقائق وتحدثنا في أشياء تتعلق بالعمل؛ فقد كان يسألني عن بعض الأشياء التي اختلط عليه الأمر فيها، ثم بعدها تركته وعدت إلى البيت وبعد وصولي بحوالي خمس دقائق تذكّرت طلبه، لذا أرسلت له برسالة أُخبره فيها بوصولي بدلًا من مهاتفته.

بدّلت ملابسي وأعددت وجبة غذاء خفيفة وفتحت التلفاز لأشاهد أحد أفلامي المفضلة "A Walk To Remember" وعندما بدأت البطلة في الغناء قائلة: " There's a song

سمعته "that's of my soul. It's the one I have tried to write over and over again يفتح الباب وبسرعة بحثت عن جهاز التحكم لأغلق الفيلم لكنه طلب مني تركته فهو فيلمه المفضل هو الآخر ويحب مشاهدته بين حينٍ وآخر!

أكملنا مشاهدة الفيلم معًا وعندما انتهى قال بصوتٍ حزين:

- أُحبه جدًا، لكن في كل مرةٍ أراه أتمنّى أن تتغير النهاية وهذا غير منطقي فقد تم إطلاق هذا الفيلم منذ عدة سنوات بالفعل وتلك هي نهايته الوحيدة لكنني لم أُحبها على الإطلاق!

امتلأت بعدها عيناه بالدموع لكنه استطاع حبسها بين جفونه.

قلت: أما أنا فعلى عكسك؛ أُحب تلك النهاية فأعتقد أنها منطقية بعض الشيء.

قال بحماس: لقد نسيت إخبارك، لقد سارت المقابلة على خير ما يرام أعتقد أننا على أعتاب النجاح.

قلت له بحماسٍ لا يَقِلّ عنه: مبارك لقد فرحت لك كثيرًا، أتمنى لك دوام النجاح.

قال: بل لنا!

قلت: ماذا؟!

قال: لا شيء.

قلت: هل تريد أن تتغذّى أَم أنك تناولت ما يكفيك بالمقابلة؟!

سأل: هل تناولتِ طعامك؟

أجبته: نعم فقد كنت جائعة، ماذا عنك؟

أجاب: لا لست جائعًا شكرًا لك.

قلت: حسنًا أعتقد بأنك تريد أن تستريح؛ فقد كان يومًا طويلًا كما أنني أشعر ببعض التعب وأريد أن أنام، تصبح على خير.

قال: يمكنك النوم بالغرفة الكبيرة اليوم بدلًا من أسرة الأطفال الصغيرة تلك!

قلت: لا شكرًا لك لقد اعتدت عليها.

قال: حسنًا، كما تريدين.

***

استيقظت في صباح اليوم التالي على رائحة قهوتي، للحظة ظننت أنني بالبيت مع أمي لكن عندما فتحت عينيَّ وجدتني ما زلت بغرفتي فخرجت منها لأبحث عن مصدر الرائحة، وجدته واقفًا بالمطبخ ويُعدّ طعام الفطور، يا لها من رائحة طعام شهي!! يبدو أنه طبّاخ ماهر وأنا لا أعلم!

قلت: منذ متى وأنت مستيقظ؟!

قال: ساعة تقريبًا.

قلت: لماذا لم توقظني طالما أنك جائع؟!

قال: أردت أن أحضر الفطور لنا يومًا!

قلت: الرائحة شهية يبدو طعامًا لذيذًا، سلمت يداك.

قال: أشكرك، هيا تفضلي لتأكلي.

لقد كان ثاني أشهى طعام تناولته بحياتي بعد طعام والدتي بالطبع، لكنني بالطبع لم أخبره سوى أنه لذيذ لا أكثر حتى لا يُصيبه الغرور ويرى نفسه عليّ!

ذهبنا إلى العمل وحاولت أن أتجنبه والابتعاد عنه بقدر الإمكان؛ فتارة أكون في غرفة فريق التسويق أعمل معهم وتارة في مكان الاستراحة وتارة أتكلم مع فارس وكلما شعرت بغضبه ابتعدت عنه حتى يمر اليوم بسلاسة ويسر.

لكن في منتصف اليوم وبالتحديد عندما أوقفني فارس ليسألني عن شيء ما ففهي النهاية هو لا يعرف أحدًا غيري بالمكان ولا يريد أن يسأل عُدَيّ كثيرًا حتى لا يبدو أمامه بمظهر الموظف غير الكُفء، خرج من مكتبه وأمسك بمعصمي أمام جميع الموظفين مما أثار دهشتهم لذا قال:

- أعتذر يا حبيبتي لقد أردت أن أمسك يدك فقد افتقدتُها كثيرًا، أعتقد أنكِ تعبتِ من التجوّل بالشركة طوال اليوم، هلّا ذهبنا إلى البيت لتستريحي، ليأخذ الجميع باقي اليوم إجازة وليعد الجميع لبيته الآن هيا لقد انتهى دوام اليوم!

عمت حالة من الفرحة بين الموظفين فاليوم كان مُتعِبًا لهم أيضًا لكنني بلعتُ ريقي بصعوبة فأنا أعلم ما سيحدث بعد نبرة الأمر تلك ثم قلت:

- أظن أنني أشعر ببعض التعب نعم وأحتاج للراحة، هيا لنذهب إلى البيت.

ثم أكملت قائلة: سأحضر أشيائي وآتي على الفور.

***

فور وصولنا للمنزل قلت: سأنـ..

لكنني لم أُكمل كلمتي ووجدته قد أمسك بذراعي وشدني إليه بلطفٍ ولين وأحاط خصري بيده الأخرى حتى لا يكون أمامي مفرًا للهرب، ثم قال بصوتٍ حنون:

- لقد تعبت من البُعد والجفاء الذي بيننا وحاولت تقريب المسافات لكنك بدأت بالتهرب مني ومن مشاعري فظننت أنك بحاجة لبعض الوقت لذا لم أعترض وتركتك على راحتك لكن في كل مرةٍ أراكِ تقفين معه أموت من الغيرة عليك! لم أعد أستطيع ولم يعد لديّ القوة لأتحمّل هذا البعد أكثر، أعلم أنني السبب فيه من الأساس وليس لديّ الحق في الاعتراض لكنني حقًا تعبت، لقد كان غباءً مني أن أتصرّف معك هكذا يوم فرحنا كما أنني كذبت عليك ليلتها عندما أخبرتك: إنني من دبّر أمر سائق الأجرة هذا لكنني والله يشهد على كلامي هذا لم آره من قبل.

وكذبت أيضًا عندما أخبرتك: إن زواجنا ضمن خطة قد وضعتها مسبقًا لكن في حقيقة الأمر أمي هي من أشارت عليّ بالزواج منك؛ لأنها تعلم مقدار حُبي لك وقالت: إنك إذا وافقت سيكون مُقدّرًا لهذا الحب أن يكتمل، نعم أمي كانت تعلم بأن زواجنا على الورق فقط ولن يحدث بيننا شيء لكن إذا أخبرتك بهذا وقتها ستتركيني وتذهبين للعيش مع والدتك مرة أخرى، وأنا لطالما حلمت باللحظة التي نكون فيها معًا ببيت واحد يجمعنا.

أما بالنسبة لديون الشركة فقد تمكنت من حلها قبل الفرح بأسبوعٍ واحد دون الحاجة لميراث أبي! لقد عاملتك بقسوة خوفًا من ضعفي أمامك، كلما نظرت إلى عينيك وكلما رأيت قدرتك على تخطي الأزمات والصمود أمامها شعرت بالضعف، والرجال لا يحبون الشعور بالضعف وبالأخص أمام المرآة التي يُحبونها لذا تعمدت إظهار قسوتي لأخفي بها ضعفي، لكنني الآن أُعلن حبي الشديد لك وأُعلن شغفي وقلة حيلتي أمام عينيك البنيتين تلك وشفتيك الموردتين تلك.

ثم قام بتقبيلهما قبلة قصيرة؛ احمرت وجنتاي خجلًا مما قاله وفعله بالآخِر، ونظرت إلى أسفل قدميّ، أمسك بذقني ورفع رأسي لأنظر داخل عينيه وقال بصوتٍ أكثر حنية من ذي قبل:

- لا تخجلي يا جميلتي ففي النهاية أنا زوجك.

ثم بدأ بفك حجابي وألقى به على الأرض بجواره، ثم أزال ربطة شعري وتركه منسدلًا على ظهري ووضع يده على خدي واقترب من وجهي حتى شعرت بأنفاسه الساخنة وقام بتقبيلي مرةً أخرى وفي تلك المرة أظن أنني بادلته التقبيل قليلًا.

وضع يده على خصري مرة أخرى واحتضنني بشدة حتى شعرت بأنني أذوب بين ضلوعه وسمعت دقّات قلبه بكل وضوح، وفي تلك اللحظة الشاعرية بالتحديد سمعنا صوت جرس الباب ووالدتانا تناديان من الخارج علينا.

انسدلت من بين أذرعه بصعوبة وأخذت حجابي من الأرض ووضعته بحجرتي ثم فتحت لهما الباب ورحّبت بهما، وبينما نحن جالسان معهما وضع يده على ظهري وبدأ يحركها لأعلى وأسفل برقةٍ وخفة، فوقفت وأخبرت الجميع: إنني سأعدّ شايًا ودخلت للمطبخ مُسرعة.

وضعت الماء بالغلاية ووجدته خلفي يحتضني ويهمس بأذني:

- لن تستطيعي الهرب مني بعد الآن، لا يوجد مفرّ! فأنتِ لي ولن تكوني لغيري طالما حييت، اليوم أو غدًا أو حتى بعد عشرة أعوام ستكتمل تلك الزيجة ولن تكون مجرد حبر على ورق سأنتظرك طالما أتنفس.

سمعنا بعدها صوت والدتي بالخارج وهي تخبرنا بذهابهما، خرجت إليهما مُسرعة وسألتهما عن سبب الاستعجال فقالا: إنهما أتيا ليطمئنا علينا ومن الواضح أن الأمور على خير ما يرام وبأنهما يعلمان من حارس العقار أننا قد عدنا لتونا من الخارج لذا سيتركوننا لنستريح.

حاولت أن أتمسك بهما للبقاء حتى الليل لكنهما رفضا وتركانا وحدنا مجددًا فقال:

- لقد أخبرتك: سأنتظرك طالما أتنفس لذا لا تقلقي لن أمسّ شعرةً منك طالما لستِ على استعداد لهذا، لكن كوني متأكدة من حبي لكِ.

ثمّ ضمّني لحضنه مرةً أخرى وهمس بأذني:

وابتعدي قليلًا عن فارس هذا حتى لا تشتعل نار الغيرة بداخلي أكثر من هذا، فقد رأيت ما حدث اليوم ولا أعلم ما الذي سيحدث بالمرة المقبلة فعندما يتعلق الأمر بك لا أملك السيطرة على أفعالي!

قلت: حسنًا، لا تقلق لن أقترب منه مرةً ثانية وسأطلب منه أن يسأل أحدًا غيري إن كان لديه استفسار بالعمل.

قال: هذا أفضل، فكما أقلتُ مايا من أجلك واحترامًا لمشاعرك لا أتوقع منك سوى المثل!

قلت وأنا أحاول تصنع الدهشة: ماذا تقصد بأقلتُ مايا من أجلك!

قال: وكأنك لا تعلمين؟!

علت وجهي ابتسامةٌ بلهاء ونظرت للأرض خجلًا ثم ابتعدت عنه ودخلت حجرتي فقال بصوتٍ عال حتى أسمعه:

- لن تستطيعي الابتعاد كثيرًا ليكن بعلمك، فغدًا أو بعد غد سأمرض وستحتضنيني مرةً أخرى لأُشفى!

ما الذي قاله الآن؟ أكان مريضًا حقًا أَم أنه اصطنع المرض؟

ثم أكمل قائلًا:

- لقد استيقظت يومها بمنتصف الليل بين ذراعيك وكانت تلك هي أكثر ليلةٍ أنام فيها براحة بالٍ وهدوء رغم مرضي، لذا أشكرك من كل قلبي على منحك إياها لي، وأتمنى أن تتكرر كثيرًا فلم أشعر بالدفء منذ وقتها!

الفصل التاسع

تمارا

رغم أننا نعيش ببيتٍ واحد إلا أنه أرسل إليَّ رسالة نصية تحتوي على:

"أعلم أنني بالغت كثيرًا في أفعالي منذ زواجنا، وأعلم أيضًا أنني تسرعت كثيرًا عندما قمتُ بتقبيلك على غفلة هكذا دون سابق إنذار، لذا قررت وبعد موافقتك طبعًا لنفتح صفحة جديدة ونبدأ من جديد، لنتخطى مرحلة التعارف وتكوين الصداقة ونبدأ من المواعدة والمقابلات الغرامية بين الحين والآخر والتحدث بالهاتف بعد منتصف الليل والمراسلة برسائل غرامية وما إلى ذلك، وعندما نصل لمرحلة الزواج لِنُقِم حفلةً صغيرة بين الأصدقاء والأحباب وإذا أردت لنشترِ لك فستانًا أبيض جديدًا، لك مُطلق الحرية في الوقت الذي تحتاجينه للتفكير لكن لا تتأخري كثيرًا في الرد، أحبك من كل قلبي".

قرأت تلك الرسالة وأنا مبتسمة وألعب بشعري تعبيرًا عن سعادتي، لكن سرعان ما تغيرت ملامح وجهي عندما تذكرت ما فعله به طوال خمسة الأشهر الماضية فازدادت ضربات قلبي من القلق والخوف؛ ظنًا مني بأن هذا سيُعاد من جديد لكن تلك المرة لن أقدر على المقاومة بل سأنهار من أول كلمة، لم أعد أستطيع أن أشعر بالثقة في كلامه وبالأمان عندما يكون هو محور الموضوع، لا أستطيع تصديق حُبه بعدما حدث، عقلي لا يسمح لي!

ظللت مستيقظة طوال الليل وأنا أحاول التفكير فيما سأفعله، فتارة يفوز قلبي ويقول: لِنُعطه فرصة ثانية، وتارة ينتصر عقلي ويقول: من يقدر على جرح حبيبه مرة يمكنه جرحه ألف مرة!

لم أنم طوال الليل وعندما بدأت أشعر بالنعاس طرق عليَّ الباب لتناول وجبة الفطور فقد حل الصباح! خرجت إليه بعينيّ المنتفختين فأيقن أنني لم أذق طعم النوم لذا قال:

- يبدو عليك التعب قليلًا يمكننك أخذ اليوم إجازة من العمل.

أجبته: أعتقد أنني سأفعل هذا حقًا؛ فأنا بحاجة لبعض الراحة والنوم بعمق.

قال: أتريدين مني شيئا، أعني أتودين مني البقاء معكِ أَم تريدين البقاء وحدك؟!

أجبته: أفضل البقاء وحدي من فضلك!

قال: حسنًا كما تريدين.

تركني وحدي وذهب كما أردت! تركني مع عقلي وتفكيري وتشتّتي وقلقي، لذا قررت أن أتغلب على كل هذا وحدي ورتّبت الشقة ونظّفتُها ثم أعددت طعام الغداء وجلست بانتظاره، قبل موعد حضوره بساعة تقريبًا لملمت أشيائي وملابسي واحتياجاتي الضرورية التي ستكفيني لبضعة أيام على عجالة وخرجت دون أن أعلم إلى أين سأتجه وأغلقت هاتفي حتى لا يتمكنوا من العثور عليّ!

فكرت أن بيت والدتي هو أول مكانٍ سيبحث فيه عني، وأنني قد تركتهم وأغلقت هاتفي من قبل وذهبت لبيت جدتي لذا سيبحثون عني هناك أيضًا، كل ما أفكر به الآن هو أنني أُريد الابتعاد عنه قدر الإمكان لأتمكن من التفكير بأريحية دون ضغوط من تواجده حوالي.

تجولت بالشوارع قليلًا ثم تذكرت أن صديقتي المقرّبة تمارا تعيش وحدها، فتحت هاتفي واتصلت على صديقتي وأخبرتها: إنني بالطريق إليها لزيارتها ثم أغلقت الهاتف مرة أخرى على الفور، عندما وصلت إليها وجدتْ معي حقائبَ سفر كبيرة فتيقّنتْ أنني لا أنوي الزيارة فقط.

رحبتْ بي جدًا وأدخلتني شقتي دون السؤال عن سبب تلك الحقائب فمن أفضل سمات صديقتي تلك أنها تترك الذي أمامها حتى يتحدث هو إذا أراد، كسرت الصمت الذي عمّ المكان وقلت لها:

- لقد تركتُ البيت لعدة أيام، هل يمكنني البقاء عندك تلك الفترة أَم أبحث عن مكانٍ آخر؟!

أجابتني على الفور: أتمزحين؟! بالطبع يمكنك البقاء قدر ما تريدين، لكن هل يمكنني السؤال عن سبب الشجار أو تركك للبيت؟

قلت: ليس الآن، ربما في وقتٍ آخر!

قالت: وقتما تريدين لن أضغط عليكِ.

طلبت منها بعدها ألا تخبر أحدًا: إنني عندها ووافقت ثم تناولنا الغذاء وشاهدنا التلفاز قليلًا وتحدثنا كثيرًا عن شتى أمور الحياة وعن علاقتها بأدهم ومقدار حُبهما لبعضهما فشعرت ببعض الحزن على حالي وطلبت منها إرشادي للحجرة التي سأبقى بها لأنام فقد أرهقني التعب، وبالفعل تركتُها بعد إصرارٍ منها بأن أبقى معها قليلًا لكنني فضّلت إكمال ليلتي بحجرتي وحدي!

استيقظت صباحًا ووجدتها قد حضرت الفطور وتركت لي ملاحظة ملتصقة بالثلاجة تُخبرني فيها: إنها قد ذهبت للعمل وستعود في تمام الساعة الخامسة مساءً وأنني إذا احتجت لشيء من خارج البيت يكفي أن أطلبها من حارس العقار وهو سيتكفل بالأمر وبأنني عليّ التصرف كأنني ببيتي دون الشعور بأي إحراج.

قرأت الملاحظة وتناولت الفطور ثم فتحت التلفاز وجلست أمامه لكنني شعرت بالملل لذا بحثت عن كُتبي التي أحضرتها معي وبدأت بقراءة أحدهم لكن الملل ما زال يتملكني ولا أدري ماذا أفعل؟

حضرت وجبة الغداء وجلست بين جدران الشقة بانتظار تمارا والملل هو كل ما أشعر به مع الاشتياق لعُدَيّ رغم أنني أحاول الابتعاد عنه لأفكر بشكلٍ أوضح وأتّخذ قرارًا لا أندم عليه فيما بعد، فهل أقبل حُبه وأبدأ معه صفحة جديدة أَم أبتعد عنه نهائيًا؟ إلا أنني لا أفكر سوى به وبأحواله وهل هو بخير أَم ماذا؟

عادت صديقتي من العمل وشكرتني على الطعام وسألتني: كيف كان يومي؟ فأخبرتها: إنه كان مملًا بعض الشيء، ثم سألتها عن يومها فشرحت لي كل ما فعلته طوال اليوم وشعرت حينها بأنني كنت معها أو أكثر.

بعد العشاء حاولتْ سؤالي عن سبب الخلاف الذي دار بيني وبين عُدَيّ بطريقةٍ غير مباشرة، لكنني تصدّيت لكل محاولاتها حتى استسلمت وغادرتني لتنام وتركتني لنفسي مرة ثانية!

استمر الحال على ما هو عليه لمدة ثلاثة أيام حتى قررت في النهاية أن أُخبرها بكل ما حدث منذ ليلة زفافنا حتى يومنا هذا، أردت منها أن تساعدني في اتخاذ القرار لكنها

جلست بجواري محتارة ومصدومة؛ فأنا لم أخبر أحدًا من قبلُ وكل ما يعرفه الجميع أننا نعيش أسعد أيام حياتنا!

وكما يقولون بالمثل المصري: "أحضرتك يا عبد المعين لتعين، وجدتك يا عبد المعين تحتاج لمن يعينك"، لذا تركتها ودخلت حجرتي لأنام أو أفكر وحدي أيًّا كان ما سيقرره عقلي؛ هو ما سيتحدث، وبعد نصف ساعة تقريبًا وجدتها تفتح الباب وتضيء النور ثم قالت:

- أتعلمين، إنه يبحث عنك كالمجنون في كل الشوارع منذ أن رحلتِ عنه، لا أعلم لِمَ لَمْ أخبرك بهذا، لكن أدهم قد وكل فريقًا للبحث عنك معه، لا يفعل كل هذا سوى شخص يُحب هذا ما أظنه.

جلست بعدها بجواري بانتظار ردّي على كلامها هذا، لكنني ما زلت خائفة ولا أعلم ما الذي يجب فعله فسألتها:

- إن كنتِ مكاني فماذا ستفعلين؟!

قالت: أعتقد بأنني سأعطيه فرصة ثانية ولكن لن تكون سهلة؛ فعليه إثبات حُبه بأكثر من فعل قبل أن يسمع كلمة أحبك وهي خارجة من بين شفاهي.

اعتدلت بجلستي وبدأت في الاستماع إليها باهتمام شديد وقلت:

- وما الذي يجب فعله الآن؟

قالت: في البداية سأحاول تدبير لقاء بيني وبينه على أساس أنها مُصادفة؛ أي أنني سأعرف بطريقةٍ غير مباشرة من أدهم متى سيتقابلان وأين، وأذهب إلى هناك بمحض الصدفة وعندما أراه بحالة يُرثَى لها سأمثل أمامهم الإشفاق عليه وسأخبره: إنك عندي

وسأحاول تدبير مقابلة بينك وبينه في مكان عام دون معرفة مُسبقة منك، حينها ستتفاجئين وتغضبين لكن لن تتمادَيْ في تمثيلك كثيرًا وبعد إلحاح منه ستستمعين إليه وتعطينه فرصة ثانية بشرط أن يثبت حُبهِ بالأفعال، لكن هل تظنين بأن هذا هو اختباره فقط؟! سأخبرك بباقي التفاصيل كلٍّ على حِدة عندما يحين وقتها.

قلت بكل تعجب واندهاش:

- لطالما عرفت بأنك شريرة، لكنني لم أظن يومًا أنك بهذا الشر، ألا تظنين أن بقائي بعيدة عنه عقابًا قاسيًا بما يكفي؟!

ضحكت نصف ضحكة مثل أشرار الأفلام بالضبط ثم قالت:

- إذا كان يظن أنه يستطيع التخطيط والتنفيذ وإحزان صديقتي الوحيدة والإفلات من عقابه بهذه السهولة فهو يحلم، إذا كان يظن أنه ذكي فنحن أذكى منه كما أن الله قد أشار بكيد معشر النساء العظيم في كتابه الكريم وإن كنا لن نستخدمه في مثل هذه الأوقات فمتى؟!

قلت: حسنًا سأفعل ما تقولين ولنر النتائج معًا، هيا أخبريني بباقي الخطة.

قالت: عزيزتي أنتِ ساذجة وبلهاء وستخربينها، لذا سأخبرك بالتحديثات كل يوم بعدما تخبرينني برد فعله عما فعلناه معه.

سألتها: ومتى سيكون هذا اللقاء؟!

أجابتني: بعد حوالي خمسة أو سبعة أيام من الآن، علينا التجهيز له جيدًا، سنشتري ملابس جديدة من الانترنت حتى لا يراك أحد معي بالشارع وتخرب الخطة من بدايتها وسنشتري بعض الأشياء الأخرى لنستخدمها.

قلت: حسنًا، كما تريدين سيدتي.

ثم ضحكنا واحتضنتها وشكرتها لكونها صديقتي ولبقائها بجواري مهما حدث بيننا من خلافات وبُعد ولكونها الملجأ الوحيد لأسراري وأحزاني ونمنا بجوار بعضنا البعض.

باليوم التالي عادت من العمل مُحمّلة بأكياس بضائع وبدأت بإخراجها واحدة تِلْوَ الأخرى؛ كل ما يخرج من تلك الأكياس ذو لونٍ مثير كما أنه قصير ويُظهر كل مفاتن من ترتديه، لو كنت أنا من يتسوق فلن أنظر إليها حتى.

قلت هذا فأجابتي: ألم أقل لك ساذجة؟!

قلت: لم أفهم.

قالت: لا يهم، الأهم الآن هو أن موعد اللقاء اقترب وسيكون بعد غد، لذا علينا طلب الملابس اليوم حتى تصل قبلها.

شعرت بالتوتر قليلًا ثم قلت: لا أعتقد أنني سأتمكن من فعلها.

قالت: لم أستطع سماع ما قلتِه، أنتِ لست بضعيفة فمن تستطع الصمود أمام ما فعله لمدة خمسة أشهر تستطع إرغامه على فعل ما تريد دون أن يرمش لها جفن، إنها البداية فقط تذكري قوتك وافعلي ما أقوله لك ولن تندمي.

قلت: حسنًا لنبدأ.

أحضرت حاسوبها المحمول وبدأنا بتصفح مواقع التسوق على الانترنت وقمنا بطلب فستانٍ من الطراز المغربي ذي لون أبيض مطبوع عليه ورود زرقاء وحجاب باللون الأبيض، فقد قيل لي من عدة مصادر موثوقة: إن ملامح وجهي تزداد جمالًا في اللون الأبيض وهذا بالضبط ما نريده.

***

لقد حان موعد اللقاء المنتظر، فاليوم هو يوم الموعد وعليّ أن أكون بكامل أناقتي الآن، يجب أن أُرسل إليه بأنني في أفضل أحوالي بدونه، وإن وافقت على إعطائه فرصة ثانية سيكون بشروطي وسيكون بسبب لين قلبي ليس إلا!

قبل وصولنا إلى المكان المُحدد ظننت أنني سأصل قبله لأتمكن من الجلوس بعيدًا عن المدخل، لكنني فوجئت بسيارته بالخارج بالفعل؛ أي أنه هنا بانتظاري! ارتبكتُ وتوترتُ قليلًا لكن تمارا هدّأت من رَوْعي سريعًا لندخل قبل أن نلفت الأنظار.

فور أن رآني انتفض من مكانه وشدّ لي الكرسي مثل الأفلام لكنني جلست على واحدٍ آخر لأثير غضبه، ثم قلت بغضب: ماذا تفعل هنا؟!

أجابني: لقد بحثت عنكِ بكل مكان ولم أجدك، حاولت أن أصل إليك بشتى الطرق الممكنة، لذا طلبت المساعدة من تمارا وبالفعل تفضلت وأحضرتك إلى هنا لنتحدث، أريد أن أعرف ماذا فعلت وما المشكلة؟!

نظرت إلى تمارا بغضب مفتعل وقلت:

أتدبرين المكائد من خلف ظهري وتطلقين على نفسك صديقتي، أي صداقة هذه؟!

تمالك نفسه بصعوبة وحاول إخفاء شعوره بالإحراج أمام صديقتي بينما هي تموت ضحكًا بداخلها دون أن تُظهر هذا، فكيف كنت منذ خمس دقائق مضت وكيف أصبحت بتلك السرعة، جلس أمامي بالضبط ثم قال: تبدين جميلة اليوم!

أجبته بدون مبالاة: أشكرك.

لكنني في الحقيقة شعرت نفسي ملكة جمال العالم أجمع وقتها، سأل:

أتريدين طلب شيء؟

أجبته بنفس درجة اللامبالاة: لا أريد أيَّ شيء، شكرًا!

قال: حسنًا، لأدخل بصلب الموضوع على الفور، هلا أخبرتني لِمَ تركتِ البيت هكذا دون مقدمات؟!

نظرتُ وقتها بعينه مباشرة وقلت بكل حسم:

- لأنني لم أعد أثق بك ولم أعد أستطيع تصديق كلامك ولا حُبك هذا الذي تدعيه بعد الآن، لقد طالت تلك التمثيلية السخيفة أكثر من اللازم وأظن أنها يجب أن تنتهي عند هذا الحد!

فرّت من بين جفونه دمعة لكنه مسحها مُسرعًا عندما شعر بها ومنع تدفق غيرها ثم قال:

- أتقصدين أن حُبك واهتمامك كانا تمثيلًا؟!

أجبته: بل أقصد حُبك واهتمامك اللذين ظهرا مؤخرًا، أتذكر جيدًا أن هذا ما حدث قبل زفافنا وعندما أصبحنا وحدنا تحولتَ على الفور من الأمير الوسيم إلى الوحش الكاسر الذي لا يرحم ولا يملك قلبًا.

قال بصوتٍ مجروح: لقد أخبرتك سبب كل هذا من قبل!

قلت: وأنا قلت منذ قليل: إنني لم أعد أستطيع تصديق كلامك!

قال: أهذا يعني بأنكِ ستهجرينني؟ وماذا ستقولين لقلبك هذا الذي ينبض باسمي؟ ماذا سأقول أنا لقلبي؟!

أجبته: قلبي هو مصدر بلائي، عليه أن يتحمل الألم قليلًا بدلًا عني فقد تحمّل بسببه الكثير من الإهانات والبكاء

تنحنحتْ صديقتي قليلًا كإشارة بأن أهدّئ قليلًا فقد ازداد غضبي عن حده ومن الواضح أنني على وشك تخريب الخطة بأكملها، فهمتُ مقصدها واستعدت وعيي وأخذت زجاجة المياه شربت منها القليل لأهدأ.

قال بصوتٍ كله رجاء لأوافق أو أبعث له ببصيص أملٍ خفيف:

- ألا يمكنك إعطائي فرصة أخيرة لأحاول تلافي أخطائي؟ أعدك سأفعل ما تريدين يكفي أن توافقي على طلبي ولو لمدةٍ قصيرة!

أجبته: وماذا ستفعل تلك المدة القصيرة أمام ما مضى؟ هل ستغير شيئًا؟

قال: وافقي فقط وسترين بنفسك ما الذي سأفعله لأستعيد ثقتك بي مجددًا.

اصطنعت التفكير قليلًا ثم قلتُ:

- إذا وافقت على العودة معك سيكون بشروطي!

قال بحماس: موافقٌ عليها دون معرفتها!

قلت: متأكد؟!

قال: بالطبع يكفي فقط أن تكوني معي بالبيت وسأملك وقتها الدنيا بأجمعها لتحقيق ما تريدين!

قلت: حسنًا، أول شيء أريد حجرة النوم الكبيرة فلن أعود لغرفة الأطفال تلك مجددًا.

قال: موافق.

قلت: سأعمل من المنزل ولن أنزل الشركة إلا إذا تطلّب الأمر، ولن تبقى معي بالبيت، أريد أن أبقى بمفردي وعلى راحتي قليلًا.

قال: كما تريدين.

قلت: سنعيش معًا بنفس البيت لكن كالإخوة، لن تتمكن من الاقتراب أو لمس شعرة مني إلا عندما أستعيد ثقتي بك كاملة!

هرش بمؤخرة رأسه قليلًا كعلامةٍ على توتره - أعرفها جيدًا- ثم قال: حسنًا موافق.

قلت: سأخبرك بباقي الشروط في وقتها طالما وافقت على هؤلاء!

سأل: ومتى يمكنني المرور وأخذ حقيبتك للعودة لمنزلك؟!

أجبته: غدًا أو بعد غد.

قال: ألا يمكنني إيصالك مع تمارا لبيتها وانتظارك حتى تلملمي أشياءك، أعني ألا يمكنك العودة اليوم؟!

قلت: أريد بقاء الليلة مع صديقتي!

قال: سأكون عندك في الصباح الباكر إذًا.

الفصل العاشر

انتقام "كيد النساء"!

فور أن أصبحنا وحدنا وتأكدنا من ابتعاده عن الشقة بقدر الإمكان انجرّت تمارا في الضحك حتى وقعت على الأرض، ثم قالت لي:

- يا لكِ من ممثلة ممتازة!! كيف تمكنت من فعلها؟

أجبتها: لقد كنت بفريق المسرح بالجامعة.

تمارا هي الصديقة الوحيدة المتبقية من فترة طفولتي، لكننا افترقنا أثناء الجامعة بسبب سوء تفاهم حدث بيننا، لذا هي لا تعلم بمقدرتي على التمثيل وتفاجأت بها هذا المساء.

قالت: لديك الموهبة يا صديقتي وخسارة دفنها هكذا!

أجبتها: لا أريد دخول عالم الفن، لقد انضممت لفريق المسرح حتى لا أكون وحدي بالجامعة؛ فجميع من تعرفت عليه قد اشترك بنشاطٍ ما.

قالت بحزن: لا أريد تذكر تلك الفترة من حياتنا بالتحديد فذكرياتها تؤلم قلبي بشدة.

قلت بحماس: لنتخطّ هذا الموضوع، ما هي الخطوة التالية إذًا؟

***

تلقيت اتصالًا هاتفيًا منه بالعاشرة صباحًا يُخبرني: إنه بانتظاري بالأسفل ويتمنى لو لم أتناول فطوري حتى نمر على أحد المطاعم ونأكل معًا، نزلت مع تمارا وأخبرته: إنها لم تأكل هي الأخرى لذا ستأتي معنا.

لقد تبدلت أحواله عن الأمس مائة وثمانين درجة؛ فبالأمس كانت لحيته طويلة بعض الشيء وغير مهندمة على الإطلاق، كما أن ألوان ملابسه كانت غير متناسقة تمامًا، أما اليوم فقد قام بتسريح شعره وحلق لحيته وهندمها واختار ملابسه بعناية وقام بكيها جيدًا.

بالمطعم اختار جميع أنواع أطعمتي المفضلة من بيض بالبسطرمة وجُبن بالطماطم وجُبن رومي وبطاطس مقلية وفول بالزيت الحار وطعمية ساخنة بالسمسم وخبز فرنسي "فينو"، وبالطبع لم ينسَ كوب الشاي باللبن، لم أستطع أن أنطق بكلمةٍ واحدة فقد كنت قررت من قبل أنه إن طلب لي سأفتعل شجارًا وستكون مشكلة بالنسبة له لكنه طلب طعامي ومشروبي المفضلين؛ لذا لا يمكنني الكلام.

أوصلني بعدها إلى البيت وكما اتفقنا تركني بالشقة وحدي وذهب إلى العمل، وحينها بدأت بتنفيذ ما اتفقت عليه مع تمارا.

***

دخلتُ الشقة ووجدتها غير مُرتبة على الإطلاق ومُتسخة أيضًا لكنني لم أبالِ ولم أُغير مكان قشةٍ واحدة، وقبل موعد عودته بساعةٍ ونصف أعددتُ طعامًا يكفيني وحدي وتركت الأواني بالمطبخ دون غسلها، عندما اقترب موعد قدومه استحممت وبدلتُ ملابسي لقميص نومٍ أسود وقصير وشفاف بعض الشيء وجلستُ على منضدة السفرة حتى يراني فور دخوله الشقة ووضعت سماعات الأذن، وبدأت بتناول الطعام على ضوء الشموع!

دخل الشقة لكنني لم أسمع بقدومه؛ فأذناي مسدودتان بالسماعات، ضغط بعدها على زر الإضاءة وعندما أنارت الأضواء علمت بقدومه فوقفت وشعرت بالدهشة من وجوده.

لم أتخيل المشهد هكذا برأسي فقد ظننت أنني سأشعر بقدومه وأتصنّع الصدمة لكنني في الواقع لم أَحْتَجْ لأتصنّع أي شيء، ومُسرعةً ذهبت لغرفتي وبدلت ما كنت أرتديه لبيجامة قطنية عليها رسومات للفأر "ميكي ماوس" بعدما تأكدت من رؤيته لي بملابسي تلك فهذا هو المراد بالطبع.

خرجت من الغرفة ووجدته ما زال واقفًا مكانه دون حركة فقلت:

- لم أتوقع قدومك بهذا الوقت لذا جلست براحتي بعض الشيء، أرجو ألا أكون ضايقتك؟!

نظر إليَّ بدهشةٍ حينها وقال:

- متى انتقلتِ من هنا لهناك؟ ومتى بدلتِ ملابسك؟! ماذا كنتِ تقولين بالأساس؟!

خطر بعقلي فكرة حينها ثم قلت:

- أي ملابس تلك التي بدّلتها؟ وأي كلامٍ هذا الذي قلته؟! لقد كنت بالغرفة وعندما سمعت صوت قدومك خرجت!

أشار بإصبعه على الكرسي الذي كنت جالسة عليه ثم قال:

- ألم تكوني جالسة على هذا الكرسي وتأكلي منذ قليل؟!

قلت حينها وبداخلي يصرخ من شدة الضحك على شكل وجهه:

- قلت لك لقد كنت بالغرفة!

قال: حسنًا، يبدو أنها تهيّؤات أو ما شابه!

قلت: بالمناسبة لم أتمكن من فعل شيء طوال اليوم؛ لأنني كنت أفرغ حقيبتي وأغسل ثيابي المتسخة، كما أنك من قام بهدلة المكان أثناء غيابي؛ لذا أتمنى أن ترتبه من فضلك فأنا لا أُحب الأماكن المتسخة.

ثم أدرت له ظهري وفتحت باب الغرفة وبعدها أدرت وجهي وقلت:

- لقد نسيت أن أقول لك: إنني أعددت طعامًا لكنني غالبًا أنهيته كله يمكنك طلب طعامٍ لنفسك سيصل في خلال نصف ساعة على الأكثر، ومن فضلك اغسل الأواني بالمطبخ فالحياة الزوجية تعتمد على المشاركة كما تعلم، سأخلد للنوم الآن فأنا أشعر ببعض التعب، تصبح على الخير.

دخلت غرفتي وقد بدأت أشعر بلذة الانتقام خصوصًا عندما رأيت الذهول يعلو وجهه عندما طلبت منه مساعدتي بالبيت بطريقة غير مباشرة، أعلم أن الحياة الزوجية تعتمد على المشاركة ففي النهاية لم أقل شيئًا غريبًا لكن بمجتمعنا قليلًا ما يُساعد الرجل زوجته بأمور البيت، كما أنه منذ بدأنا العيش معًا وهو لم يحمل كوبًا من مكانه فأنا من يفعل كل شيء لذا يمكننا القول: إنني من جعله يعتاد عدم مساعدتي، نعم حدث هذا دون إرادتي لكن في النهاية كان بإمكاني الاعتراض لكنني فضلت السكوت والاستمرار، لكنني الآن أستردّ حقي وهذا هو المهم.

***

في اليوم التالي قررتُ أن ألعب دور الزوجة المطيعة فاستيقظت وأعددت له الفطور وقهوته الصباحية وحضرت له ملابسه التي سيخرج بها، وأيقظته بكل هدوء وحُب حتى يبدأ يومه بسلام، تعجب كثيرًا من التغير المفاجئ الذي حدث بين الأمس واليوم بالطبع وفرك عينيه حتى يتأكد من أنه لا يحلم.

قلت له: صباح الخير، الفطور جاهز أنا بانتظارك بالخارج.

قال بتعجب: صباح الخير!

تناولنا الفطور وسألته عما يريد على الغداء حتى أعده ثم ودعدته ليذهب إلى عمله.

استمرّ الحال على ما هو عليه لمدة شهر وأنا ألعب على أوتار خلايا مخه، فتارة ألعب دور الزوجة الهادئة المطيعة وتارة ألعب دور الزوجة التي تناشد بحقوق المرأة ليل نهار، تارة أنتظره بملابس مُتسخة ذات رائحة طعامٍ مطهوّ، وتارة أخرج أمامه بملابس مثيرة ذات معنى واضِح وصريح!

في أحد الأيام بعد أن فاض به الكيل من التلاعب النفسي والعصبي اللذين يعيش فيهما منذ شهر وبالتحديد بعد أن خرجت أمامه بالليل بقميص نوم طويل بعض الشيء لونه أزرق وقلت له:

- ظننت أنك خلدت للنوم عندما لم أسمع صوتك، آسفة جدًا.

ثم دخلت غرفتي وجلست على كرسي التسريحة لأُسرح شعري وأربطه لأنام. فتح باب الغرفة بعنف ثم قال:

- يكفيني هذا التلاعب، فلتقولي ما تريدين قوله بكل وضوح!

اقتربت منه وحضنته بذراعي ثم وضعت رأسي على صدره حتى أسمع دقات قلبه وقلت بصوتٍ حنون بعض الشيء: كم اشتقت إليك كثيرًا!!

لان صوته بعض الشيء ثم قال:

- وأنا اشتقت لك أكثر مما تتخيلين.

طبعتُ بعدها قُبلة على خده ووضعت رأسي على صدره من جديد، فقال عندها:

- أهذا يعني أنكِ قد صدّقت حُبي لك؟ أهذا يعني أنني استحققت الفرصة الثانية؟!

حينها ابتعدت عنه وبدأت بالضحك ثم قلت:

- أي فرصةٍ ثانية تلك التي تتحدثُ عنها؟! أظننت حقًا بأنني عُدت هنا كي نكمل تلك الزيجة؟! استفق يا عزيزي فقد عُدت لأنتقم ليس إلا، والآن بعد أن وصلت لسابع سماء بهذا الحضن ألقيت بك لسابع أرض بضحكاتي وكلماتي تلك، والآن أُخرج من غرفتي فقد حققت هدفي وحصلت على ما أريد!

سأل بدهشة: لم أفهم ماذا تقولين؟!

قلت: لقد جعلتك تظن أننا على وفاق وبأن الحُب بيننا قد أشعل الذُّرَةَ وسنعيش بتباتٍ ونباتٍ وننجب أولادًا وبناتٍ، لكن في الحقيقة كل هذا ضمن خطة انتقامي، لقد عشت معك أسوأ خمسة أشهر بحياتي؛ عاملتني فيها معاملة العبد الذليل بعد أن ظننتُ أن فستاني الأبيض هو بداية حياة جديدة معك وبالأخص عندما اعترفت بحبك لي أكثر من مرة، والآن بعدما حاولت فعل نفس الشيء معك لم تتحمل شهرًا واحدًا فقط!

قال: لكنني اعتذرت لكِ وحاولت تلافي أخطائي.

قلت بغضب:

- وهل تظن أن اعتذارًا سخيفًا كهذا سيفي بالغرض؟ سأخبرك شيئا؛ أتتذكر ذلك الفستان الذي ألقيتَ به ممزقًا على الأرض يوم زفافنا؟ إن استطعت إعادته لهيئته الأولى حينها فقط سأتمكن من مُسامحتك!

تركني وخرج من الغرفة فألقيت بنفسي على السرير وبدأت بالبكاء على حالي؛ فهو لو يجيبني حتى، طرق الباب بعد دقيقتين تقريبًا وهو يحمل صندوقَ هدايا مستطيلا وكبيرا وأعطاني إياه وطلب مني فتحه من جديد.

في بادئ الأمر اعترضت؛ ظنًا مني بأنها هدية لا قيمة لها، لكن بعد إصرارٍ منه فتحته ووجدت فستاني قد عاد حقًا لهيئته الأولى! لا أعلم منذ متى وهو يرتّب لهذا ولِمَ أخفى عني تلك المفاجأة الرائعة، لكن أظن أن بإمكاني مسامحته الآن.

عندما رأى أن عينيَّ قد لمعتا من الفرحة قال: أتسامحينني الآن؟!

أجبته دون أن أتردد لحظة: أعتقد هذا!

قال: أيمكنك تجربته؟ سأكون بانتظارك بالخارج؟!

قلت: حسنًا.

ارتديته ووضعت القليل من مساحيق التجميل كما علّمتني تمارا وتركت شعري منسدلًا كما يُحبه، وبحثت عن حذاء الفرح ليكتمل المظهر، لم أرتدِ الطرحة تلك المرة فلا داعي لها، لا يوجد شخص غريب اليوم، عندما رآني به لمعت عيناه وامتلأتا بدموع الفرحة ورأيت نظرة الحُب التي كانت بعينيه عندما رآني به أول مرة يوم زفافنا.

سألته: ما رأيك؟!

أجابني: أعتقد أنه لا يوجد إجابة منطقية لهذا السؤال، فالفستان جميل لكنه ازداد جمالًا بعدما ارتديته.

قام بحملي بين ذراعيه والالتفاف حول نفسه حتى شعرت بالدوخة فطلبت منه التوقف، أنزلني على أقرب كرسي له وجلب لي كوبًا من الماء، وبعدما شربته حملني مرة أخرى مثلما يحمل البطل حبيبته في الأفلام الرومانسية، وضعت يدي حول عنقه ونظرت داخل عينيه وأنا أشعر بالامتنان الشديد مما وصلنا إليه.

وضعني على السرير برفقٍ ثم أغلق النور والستار، وهنا سنتوقف عن الكلام حتى يحلّ الصباح وتصبحون على خير جميعًا.

الفصل الحادي عشر

ليان

بعد مرور ستة أشهر اكتشفت أنني أحمل بين أحشائي طفلنا الأول فقررت أن أخبره في ذكرى يوم زفافنا وخصوصًا أنه لم يتبقَّ عليه سوى بضعة أيام، كما أنني ما زلتُ لم أجد الهدية المناسبة له، وهل هناك أفضل من طفلنا الذي يكبر داخلي ليكون هديةً له؟

طلبت منه أن نُقيم حفلًا صغيرًا بين الأحباب والأصدقاء فقط حتى نحتفل بتلك المناسبة؛ لأنني لن أستطيع إخفاء أمر الحفل إذا قررت إقامته مفاجأة له! وافق على اقتراحي وبدأنا بترتيبات الحفل، لكنّ هناك أمورًا خفية تحدث بيني وبين تمارا دون دراية منه.

في يوم الرابع عشر من شهر يوليو وبالتحديد قبل موعد الحفل بأربع وعشرين ساعة اشتريت أنا وتمارا بعضًا من ملابس الأطفال حديثي الولادة، منها ما هو أزرق ومنها ما هو وردي فنحن لا نعلم جنسية المولود بعد.

وضعنا تلك الملابس بصندوق من الورق المقوّى وفوقها اختبار الحمل الذي يظهر إيجابيًا بالتأكيد، ثم غلفنا الصندوق بشريط هدايا باللون الأحمر.

عندما أتى الجميع طلبت منهم الالتفاف حولنا لرؤية هديتي، فتح الصندوق ورأى ما بداخله لكنه وقف حوالي خمس دقائق دون أن يُدرك ما معنى هذا، بينما هلل الجميع فرحًا لكنه لم يفهم بعد!

سألني بتعجب حينها: ما هذا؟ لماذا أحضرتِ لي ملابس أطفال وما هذا الشيء الذي عليها؟!

أشرت إلى بطني حتى يتدارك الأمر فقال لي: هل معدتكِ تؤلمك أم ماذا لم أفهم؟!

فقلت له بنفاذ صبر:

- حاول أن تركز قليلًا، سيأتي ضيف للعيش معنا بعد ثمانِية أشهر، لكن هذا الضيف سيكون دائم الإقامة، هل فهمت الآن؟!

سأل: ولِمَ سيقيم معنا، لِنشترِ له شقة يعيش بها وحده على راحته، ولِمَ بعد ثمانِية أشهر؟ لِمَ ليس بعد تسعة أو سنة أو أكثر أو أقل؟ لِمَ ثمانية بالتحديد؟!

قلت بشفقةٍ على حالي:

- كم أتمنى الآن ألا يرث طفلي ذكاءه منك! أَخْبِرْنِي: هل يُمكن لطفلٍ رضيع أن يعيش بشقة وحده؟ لماذا إذًا يوجد حجرة للأطفال بشقتنا؟ كنا استثمرنا مساحتها بشيء آخر أفضل؟!

قال باندهاشٍ وتساؤل: مهلًا، مهلًا، هل قلتِ طفلي لتوك؟ أتعنين طفلنا نحن الاثنين؟! هل أنتِ حامل؟!

أجبته: نعم يا شارلوك هولمز العائلة!

قال بفرحٍ شديد بعد أن أدرك الأمر أخيرًا:

- سأصبح أبًا، لا أصدق نفسي، ستكبر العائلة الآن.

ثم حملني بين ذراعيه ولف بي في دوائر حول نفسه حتى شعرت بالدوار وطلبت منه أن يتوقف.

أنزلني ثم قال: من الآن وصاعدًا لن تتحركي من مكانك ولن تفعلي أي مجهود كبير؛ حفاظًا على صحتك وصحة الجنين، أتعرفين جِنْسه؟!

أجبته: ليس بعد، ما زال هناك وقت كبير على هذا.

قال: أتمنى أن تكون فتاة لينة القلب مثلك.

قلت: إذا كان الجنين فتاة سنطلق عليها ليان إذًا.

قال: أعجبني الاسم، لتكن ليان إذًا.

***

مرت ثلاثة شهور منذ هذا اليوم كلما حاولت فعل شيء فيهم أوقفني وطلب مني أن أستريح حتى إنه عيّن مُدبّرة منزل لمساعدتي بأمور البيت المعتادة إن لم يكن معي بالبيت، وفي إحدى الليالي استيقظت من النوم بالساعة الثالثة فجرًا على رائحة كيوي رغم أننا بشهر أكتوبر وهذا ليس موسمه!

أظن أنه شعر بقلقي لذا استيقظ هو الآخر وسألني عن سبب استيقاظي بهذا الوقت من الليل، في بادئ الأمر لم أخبره بالسبب حتى لا يسخر مني لكن بعد إلحاحٍ منه أخبرته:

- إنني أشتهي الكيوي؛ فقد شممت رائحته لذا استيقظت وأنا أريده بشدة!

ضحك قليلًا على طلبي هذا ولكن عندما أدرك جديتي بدّل ملابسه على الفور ونزل مُسرعًا ليبحث عنه من أجلي! بعد مرور ثلاث ساعات عاد أخيرًا محملًا بخمسة كيلوجرامات من الكيوي ولتر لبن؛ فهو يعلم مدى حُبي لمشروب الكيوي باللبن جدًا.

أكلت نصف الكمية تقريبًا بشراهة وهذا على غير عادتي فأنا لا آكل أبدًا بتلك الطريقة، لكن عندما رأيته أمامي لم أستطع أن أتمالك نفسي أمامه، ثم أخذت اللبن وخمس حبات وعصرتهم وأعطيت له كوبًا منه وشرِبتُ الباقي ثم شكرته على اهتمامه ونزوله بهذا الوقت المتأخر من الليل وشرائه لي.

منذ هذا اليوم وكلما رأى شخصًا يبيع كيوي أمامه يركن سيارته ويشتري منه بأربعة وخمسة الكيوجرامات.

***

بعد مرور شهر واحد على حادثة الكيوي تلك ذهبنا إلى طبيبتي لمعرفة جنس طفلنا، باستخدام الموجات الصوتية "السونار" أخبرتنا الطبيبة أنها فتاة، نظرنا إلى بعضنا البعض بسعادة فهذا ما تمنيناه وكما اتفقنا سيكون اسمها ليان، وعسى أن يكون لها نصيبٌ من صفات اسمها.

عندما تأكدت من أنها فتاة أصريت بأن ألتحق بإحدى الدورات التدريبية التي لطالما حلمت بالالتحاق بها منذ زمنٍ بعيد، طلب مني الانتظار حتى الولادة حتى لا أُجهد نفسي لكن قراري كان حاسمًا وبالفعل بدأت الدراسة بتلك الدورة بعدها بعشرة أيام.

غيرنا لون طلاء غرفة الأطفال إلى اللون الوردي حتى يتناسب مع ذوق الفتيات، واشترينا لها الكثير من ملابس الأطفال حديثي الولادة وألعاب الفتيات والعرائس وغيرها من الأشياء المختلفة.

في أحد الأيام شعرت بغُصةٍ بقلبي فأحضرت إحدى مُفكراتي " والتي كان غلافها أسود بدون أي نقوش عليها وبأحد جانبيها يوجد شريط مطاط ليغلقها"، حرصت على أن تكون فارغة وبدأت بكتابة يومياتي فيها، منذ أن استيقظت على صُراخ والدة عُدَيّ حتى يومنا هذا، كتبتُ فيها كلَّ ما تذكرته وشعرتُ به حينها، لا أعلم لِمَ فعلت هكذا؟ لكنني شعرت بأن هذا ما سيُرِيحُ قلبي.

أخفيتُ بعدها المفكرة بين أغراضي، وكلما تذكرتها أخرجتها وكتبتُ بها ما يخطر على ذهني من ذكريات ومشاعر شعرت بها بالأيام السابقة.

***

في نهاية الشهر السادس من الحمل ذهبت لطبيبتي لأقوم بالفحص المعتاد، فوجئت بها تطلب مني بعض تحاليل الدم وأشعة موجات صوتية وفحص لم أقم به من قبل أطلقت عليه كلايهاور أو شيئًا من هذا القبيل، شعرت بالقلق قليلًا من طلباتها تلك ففي العادة ما تُخبرني: إن حملي يسير على خير ما يرام ودائمًا ما ينتهي الفحص برضاها وبابتسامة ترتسم على شفاهها؛ لأن صحتي وصحة طفلتي بخير، لكن في تلك المرة ظهرت علامات القلق على وجهها وتأكدت من وجود خطبٍ ما عندما طلبت مني تلك الفحوصات.

أخبرت عُدَيّ بما قالته الطبيبة لكنني حاولت طمأنته وقلت له:

- إنها مجرد فحوصات وتحاليل روتينية ولا قلق منها، لكن في الحقيقة لم أصدق كلمةً واحدة مما قلت وقتها.

أجريت تلك الفحوصات وذهبتُ بها لطبيبتي وأخبرتني بما خشيت من سماعه، قالت:

- إنه هناك احتمال وجود خطر النزيف عند الولادة وعليها إخبار زوجي بهذا حتى يتجهز لكل الظروف التي يمكن أن تحدث حينها، أخبرتها: إنني سأقول له بطريقتي وفي الوقت المناسب لهذا.

حاولت شرح الوضع له مرارًا وتكرارًا لكنني لم أستطع في أي من تلك المرات، لذا قررت أن أفوض أمري إلى الله وهو من سيحميني ويحمي طفلتي من أي أخطار.

بمنتصف الشهر السابع من الحمل؛ أي بعد أسبوعين من تلك الفحوصات استيقظت من النوم بسبب آلام شديدة ببطني، هاتفت طبيبتي وأخبرتها بذلك فطلبت مني الذهاب إلى المشفى على الفور.

هناك علّقوا لي محاليلَ ومسكناتٍ لتهدئ الآلام قليلًا وحينها فقط أخبرت عُدَيّ بأمر المذكرات، وطلبت منه أن يُعطيها لطفلتنا يوم زفافها وأن تكون هدية عيد مولدها الخامس والعشرين هي الفستان الذي التحقت بدورة الخياطة فور معرفتي بجنسها خصيصًا وسهرت الليالي حتى أتمكن من خياطته لها وعليه أن يحرص على ألا تتزوج قبل حصولها على فستانها.

حاول تهدئتي ظنًا منه بأنني خائفة؛ لأنها مجرد ولادة مبكرة لا أكثر لكنه لا يعلم بخطر النزيف بعد قائلًا:

- لا تقولى مثل هذا الكلام أنت من سيضع طرحة العروس لها وسيحرص على ارتدائها لهذا الفستان، ستخرجين من تلك العملية على خير وأنت من ستُكبرين صغيرتنا.

لم أستطع أن أعترف له وقتها لذا قررت بأن أترك مصيري ومصيره ومصير طفلتي بين أيدي الله سبحانه وتعالى فهو القادر على كل شيء.

دخلت غرفة العمليات وحاولت طبيبة التخدير كثيرًا معي، لكن لم يُجدِ نفعًا فكما تعرفون أنا أشرب الكثير من القهوة، لكنهم سيحاولون للمرة الأخيرة على أن يكون التخدير موضعيًا ففي المرات السابقة كان التخدير كلي؛ لأنني سأخضع لعملية ولادة قيصرية عاجلة لكنه لم يفلح، لكنهم وُفقوا عندما أصبح التخدير نصفيًا، بالطبع شعرت بكل ضغطة وكل لمسة حدثت بجسدي لكنني لم أشعر بالآلام مطلقًا وهذا هو جدوى التخدير كما يعلم الجميع.

عندما سمعت صوت صراخ صغيرتي طلبت منهم إحضارها لأضمها إلى صدري فقد تكون تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي أراها فيها، لكن وقبل أن أتمكن من لمسها فقدتُ الوعي ولم أشعر بشيء من حولى حتى استفقت ووجدتني بالعناية المركزة وبجواري ممرضة تغير لي المحلول المثبت بيدي وهي تقول:

- حمدًا لله على سلامتك، لقد أقلقتنا جميعًا بعد الولادة؛ فقد حدث نزيف حاد كما توقعنا لكن أظن أنكِ بخير الآن، سيفرح زوجك بهذا الخبر جدًا، لقد فقد الوعي هو الآخر عندما علم بحالتك ونقلناه لإحدى الغرف بالمشفى ولم يعلم بعد بقدوم مولودتكما.

قلت لها بصوتٍ مُتعب للغاية: صغيرتي، أين هي؟ أريد رؤيتها.

قالت الممرضة بصوتٍ حزين بعض الشيء: للأسف لا يمكنك رؤيتها فهي بالحضانة ولا نستطيع إخراجها وبحالتك تلك لن تستطيعي الذهاب إليها.

قلت: أريد رؤية زوجي إذًا.

قالت: سأخبر الطبيبة بطلبك وإن وافقت سيدخل إليك بعد قليل.

طلبت منها ورقة وقلمًا حتى يأتوا إليَّ بزوجي ثم خرجت، كتبت في تلك الورقة:

- لا تنسَ الاعتناء بطفلتنا كما اعتنيتُ بك ولا تنسَ اسمها فهو "ليان" كما اتفقنا.

الفصل الثاني عشر

النهاية!

بعد مرور خمس وعشرين عامًا وبالتحديد يوم زفاف ليان، بعد أن ارتدت فستانها الأبيض ووضعت مساحيق التجميل على وجهها، نزلتْ مُسرعة من غرفة الفندق إلى قاعة الزفاف وهي تبكي وطلبت من مُنسق الموسيقى مِكروفونًا لتتكلم، التف حولها الجميع وبدؤوا يتساءلون: ما الذي حدث وأين عريسها؟ لكنها لم تُجب على أيٍّ منهم وانتظرت حتى يستمع إليها الجميع بوقتٍ واحد.

وقف عُدَيّ بجوارها ولم ينطق بكلمةٍ واحدة فهو الوحيد الذي يعلم سبب بكائها، بدأت ليان كلامها قائلة:

- قالوا قديمًا: إن قَدَرَ البنات يتشابه مع قدر الأمهات، ويبدو أن هذا صحيح! لقد بكت أمي يوم زفافها كما أبكي اليوم لكن الفرق بيني وبينها هو أنني أبكي أمام الجميع الآن بينما هي بكت بين جدران حجرتها دون أن يراها أحد.

لقد تُوفِّيت أمي يوم ولادتي، ولهذا لم ولن أحتفل مطلقًا بعيد مولدي، لم تكن معي أبدًا لقد كان أبي هو الأم والأب معًا، لا ألومها على هذا فلو كان بيدها لما تركتني لحظة بحياتي، لكنها ورغم وفاتها استطاعت أن تكون معي اليوم! لقد تركت لي يومياتها وشرحت لي بها كيف أكون زوجة صالحة، وكيف أسعد زوجي وأحافظ على بيتي كما لو كانت معي وأكثر.

لقد تعرضتْ أمي لنزيف حاد أثناء الولادة ولهذا السبب لم يتمكن الأطباء من إنقاذها وتركوني من دونها أعاني بتلك الحياة لا أعلم من دون أبي ماذا كنت سأفعل؟!

لقد عاشت أمي حياة زوجية نصفها تعيس ونصفها سعيد لكنها في المُجمل كانت راضية عنها وتمنّت لو استطاعت أن تُكملها لكن إرادة الله كانت مختلفة.

أتعلمون أنها تعلمت فن تصميم الأزياء وتعلمت الخياطة على الماكينة حتى تتمكن من عمل هذا الفستان الذي أرتديه الآن؟ لا أعلم كيف تمكنت من معرفة قياساتي التي أصبحت عليها الآن وأنا كنت وقتها مجرد جنينٍ ببطنها؟! هذا الفستان هو عيد مولدي الخامس والعشرين منها ويومياتها هي هدية زفافي.

يقولون: إنه مَن أوشكت حياته على الانتهاء فإنه يشعر بهذا، أظن أن هذا ما جعل والدتي تُصِرّ على كتابة يومياتها وصنع هذا الفستان وتوصية والدي بألا أتزوج قبل الخامسة والعشرين حتى أحصل على فستاني وبأن يعطيني تلك المفكّرة هذا اليوم بالتحديد لأشعر بوجودها معي.

أعتقد أنها أفضل أم على الإطلاق ولن يجلب الزمن أمًا رائعة مثلها، لقد تعلمت من سطور تلك اليوميات الكثير، لقد تعلمت أنه عليَّ التحلي بالقوة بين الحين والآخر، عليّ أن أعتمد على نفسي وقت الحاجة وبأن أقف مع زوجى وقت أزمته، وبألا أترك حقي ليضيع بل عليّ استرداده باحترافية وذكاء.

صديقة أمي الوحيدة خالتي تمارا لقد كنتِ خير صديقة لها في فترة حياتها وخير مُعين لي بعد وفاتها، هذا هو الإخلاص للصديق بحق وهذا ما تعلمته منكِ ومن أمي بعد أن قرأت تلك اليوميات.

أشكركِ؛ لأنك بحياتي ولأنك احتضنتني بين ذراعيك ولم تفرقي بالمعاملة بيني وبين ابنتك عفراء التي سمّيتها تيمّنًا بأمي، أشكرك على إخلاصك وحبك لي ولأمي.

لقد ضحّت والدتي بحياتها لأعيش وأكون بينكم اليوم، لذا لا يمكنني قول سوى أنها أعظم أم قد يحصل عليها شخص على الإطلاق.

***

بعد أن انتهت حفلة الزفاف وقفت تمارا بجوار عُدَيّ وسألته:

- أكنت تعلم بالمكتوب بتلك المفكرة؟!

أجاب والدموع تتساقط من بين جفونه على وجنتيه:

- طلبت رؤيتي بعدما استفاقت من فقدانها للوعي جرّاء فقدانها للكثير من الدماء أثناء الولادة، لكن عندما ذهبت إليها وجدت جسدها كقطعة ثلج وهي لا تنطق ولا تتنفس، طلبت الطبيبة وأتت مُسرعة إلى غرفتها وطلبت مني الانتظار بالخارج قليلًا، بعد أن خرجت الطبيبة وأخبرتني بانتقال عفراء إلى الرفيق الأعلى ظننت أنني خسرتُ كلامها معًا؛ لذا ذهبت إلى البيت وبحثت عن الذكرى التي تبقّت لي من كليهما وأخذت المفكرة وقرأت ما بها، في صباح اليوم التالي وردني اتصالٌ هاتفيٌّ من المشفى ليخبرني بحاجتهم إلى بعض مستلزمات الطفلة فعاد إليَّ الأمل من جديد، وهناك أعطوني ورقة كانت بيدها مكتوبا فيها:

- لا تنس الاعتناء بطفلتنا كما اعتنيتُ بك ولا تنس اسمها فهو "ليان" كما اتفقنا.

أتعلمين، أحيانًا أُفكر بيني وبين نفسي أنني لو لم يُخيل إلي وفاة ليان قبل قراءة تلك المفكرة لما أحببتها واهتممت بها مثلما أُحبها الآن ولأهملتها وتركتها تصارع الحياة وحدها،

لكن عندما ظننت أنها فارقتني مع والدتها وشعرت بوحدتي والظلام الذي عم حولى وبعدها أتتني تلك المكالمة من المشفى وأعادت النور لقلبي وحياتي من جديد شعرت حينها بأن عفراء عادت إليّ من جديد، وشعرت بوجودها بجواري، أتعلمين، لقد تركت لي جوابا بداخل تلك المفكرة، وجدته بعدما قرأتها، تقول فيه:

- حبيبي وزوجي عُدَيّ ، قراءتك لهذا الجواب تعني أنني لم أعد معكم بجسدي، لكن تأكد أن روحي ستكون معكم دائمًا وسترعاكم كما لو كنت معكم، أعلم أنك تفتقدني فأنا أيضًا اشتقت لك كثيرًا، آسفة؛ لأنني لم أخبرك بخطر ولادتي حتى لا تُجبرني على إجهاض طفلتنا ليان، ولو حدث هذا لكنت خسرتني وخسرتها في وقتٍ واحد، لذا فضّلت أن تعيش مع قطعةٍ منا معًا على ألا تعيش وحدك على الإطلاق، أعلم أن فضولك قد جعلك تقرأ المُفكرة رغم أنها كلامٌ بين أُمٍّ وصغيرتها، لكن لا بأس فقد سامحتك منذ مدة، أَما بالنسبة لطفلتنا فأرجو أن تعاملها معاملة الأميرات كما عاملتني بعدما تصافت نفوسنا تجاه بعضنا البعض وبدأنا حياتنا الزوجية الحقيقة وليست تلك التي على ورق، لقد وعدتني بأن تُلبي لي جميع طلباتي وهذا آخر ما سأطلبه منك؛ لذا أرجو ألا ترفضه لي، ألحقها بأفضل المدارس طالما هذا باستطاعتك المادية، وعلّمها عزة النفس والاعتماد على الذات وأخبرها بألا تتنازل عن حقوقها لأي شخصٍ كان حتى لو كان هذا الشخص هو أنت! أريدها أن تُصبح أفضل مني ومنك، علمها أن حياتها المهنية مهمة وحياتها الاجتماعية مهمة وعندما تتزوج أخبرها: إن حياتها الزوجية مهمة وعليها الموازنة بينهم جميعًا، لا تتركها للحزن، وإن حزنتْ يومًا واحتاجت لمعالج نفسي فلا تتردد ولا تتركها لأصحاب السوء، علّمها العبادة والصوم والصلاة واقرآ القرآن معًا كما اعتدنا أن نفعل، اعتبرها أنا ولا تحزنا على فراقي؛ فأنا معكما أينما كنتما، وكلما رأيتكما سعداء تأكدا بأنني سأصبح أكثر سعادة منكما.

ثم أكمل كلامه مع تمارا قائلًا:

- لقد حفظت كل سطرٍ وكلمةٍ فيها عن ظهر قلب؛ فقد اعتدت قراءتها يوميًا قبل الخلود للنوم حتى أشعر بذراعيها تحاوطني وأتمكن من النوم بسلام، أعتقد أنني قد أديتُ مهمتي الآن ونفذت وصيتها على أكمل وجه، وإن أخفقت بشيء فأتمنى أن تسامحني فقد تركت لي حملًا ثقيلًا وقد حاولت بقدر الإمكان أن أكون على قدر مسئوليته.

***

عاد إلى بيته وجلس على الأريكة المُقابلة للتلفاز . بالمناسبة لم يقم بتغيير محل إقامته أو مكان كرسي واحد حتى منذ ليلة زفافه وحتى يومنا هذا، أراد كثيرًا هو وعفراء بأن ينتقلا لبيتٍ أكبر بعد أن يُرزقا بأولاد كُثر، لكن بعدما تُوفِّيت ولم يُرزقا سوى بفتاةٍ واحدة لم يغير مكان شقته، وفتح فيلمهما المفُضل وأثناء مشاهدته شعر بذراعيها تحاوطه وهي تجلس بجواره، ثم سمع صوتها وهي تهمس بأذنيه وتقول:

- لِمَ لا تقرأ لنا سورة يوسف بصوتك العذب هذا بدلًا من مشاهدة التلفاز؟

أحضر المصحف وبدأ بالقراءة وعندما وصل للآية الثالثة والثمانين والتي تقول: "قَالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا فَصَبرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأتِينِي بِهِم جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ".

قرأها وغاب بعدها بنومٍ عميق، نومٍ لم ولن يستيقظ منه إلا يوم الحساب فقط؛ فارقَ الحياة هو الآخر والتحق بالرفيق الأعلى بعدما أدّى رسالته بالحياة وسلّم أمانته لصاحبها.

الخاتمة

لطالما آمنتُ دائمًا بأن الكتابة عبارة عن رسالة يُرسلها الكاتب إلى من يقرأ له عن طريق حروفه التي على الورق، وبأن ذلك الكتاب الذي بيدك هو الرابط بيني وبينك، وبما أننا وصلنا لنهايته فدعوني أخبركم بشيء بكل وضوح.

أعلم أنني كتبت تلك الرواية بأكملها باللغة العربية الفصحي، "أرجو ألا أكون أخفقت ببعض الكلمات"، لكنني في ختامه أود أن أحدثكم باللغة العامية التي نتحدث بها بين بعضنا البعض، أود أن تشعروا بوجودي حولكم وأن يصلكم ما سأقوله بأبسط الطرق لذا فتلك الصفحات القادمة ستكون بالعامية، كونوا على استعداد وضعوا لي كرسيًّا أمامكم وأعدوا لي كوبًا من الشاي معكم فلديّ ما أقوله لكم.

***

بُصي يا بنت الناس وخليكي دايمًا فاكرة إن دي رواية مش أكتر، يعني أي كلمة قريتيها هنا فهي من وحي خيالي "يعني بالبلدي أكتر تخيلات وهلاوس في دماغي" فمتفكريش إن حياتنا في الواقع زي المسلسلات التركي ولا الكوري اللي بنتفرج عليها ولا حتى زي الروايات اللي بنقراها واحنا بنقول: "هيييييح".

ممكن ده يحصل مع بعض الناس أنا مش بحبطك بس مش مع كل الناس وركزي في كلامي كويس.

يعني ما ينفعش واحد يكون فيه العِبر، وأهله مش مستحملينه، ولّا عنده أصحاب سوء، ولّا بتاع بنات، ولّا حتى رئيس عصابة زي المسلسلات الهندي دي وتقولي: هصلّحه.

احنا هنا في الواقع وحبيبك مش على نيّاته ومش كل البنات إخواته!!!

مش معنى إن عُدَيّ في الرواية هنا عرف غلطته وتاب وندم واتغير يبقى خلاص كله هيتغير وهيسيب الكاس - مجازًا؛ لأنه شخص مش كويس- اللي في إيده ده ويحط مكانه مصحف ولّا إنجيل، حاويى معاه مرة واتنين ومتحاوليش التالتة، اِنفدي بجلدك وبقلبك واجري قبل ما تغرسي في الطين أكتر!

قلبك ثم قلبك ثم قلبك، حافظي عليه زي ما أنتي بتحافظي على الماسكرا أم فلوس كتير اللي عندك، ودوّري له على غالي زي ما بتروحي تجيبي منتجات الاسكين كير الاوريجينال لبشرتك! صدقيني قلبك أغلى من كل ده ولو ضاع منك هتتحولي لشخص تاني خالص، أظن نهاية فيلم موانا واضحة وصريحة مش كده؟ شوفتي تيفيتي حصل لها لما ضاع منها قلبها وشوفتي حصل لها لما لقيت اللي يرجعهولها تاني؟ طيب وأنتي ليه من البداية تجازفي وترمي نفسك في النار؟ ما تستني لما تتأكدي إنه شخص كويس وشاريكي فعلًا وبيحبك بجد، متسلّميش قلبك كده بسرعة وخلاص!

أما أنت بقى يا سيد يا محترم، فمش معنى إنها بتحاول تغيرك للأحسن يبقى تشتغلها وتبقي معاها toxic ولو أنت شايف نفسك bad boy أوي فبلاش تبهدل بنات الناس معاك ويا تروح تتعالج يا تبعد عن سكة الارتباط بقى، وشوف لك حاجة تانية اعملها؛ ربي كلب ولا قطة ولا أي حاجة المهم ابعد عن بنات الناس.

وزي ما قولت للبنات حافظوا على قلوبكو، فأنتو كمان حافظوا عليها؛ لأن مفيش ولد بيتولد كده أبدًا ربنا خلقنا كلنا في قلوبنا الرحمة والحنان، يمكن في البنات أو في الإناث بشكل عام بتكون غالبة شوية لكن ده ميمنعش إنها موجودة في الذكور كمان.

أي نعم مجتمعنا بيعتبرها أحيانًا ضعف وأي راجل بيشوفوه حنين فهو يا يشرب بريل ويسترجل يا مراته عامله له عمل، وهو يا عيني بكل بساطة مفيهوش أي مشكلة غير إنه

لسه محافظ على شوية الإنسانية اللي جواه رغم الظروف اللي مرّ بيها من أنت راجل متعيطش ومفيش راجل ضعيف ومفيش راجل يعمل اللي تعمله ده وكل الكلام المعروف واللي أغلبكو سمعه!

وطبعًا زي ما فيه رجالة منها لله في كمان ستات حسبي الله ونعم الوكيل فيها.

فأيًا يكن بقى أنت من الرجّالة الطيبين ولّا الأشرار، وأنتي كمان من الستات الطيبين ولا الأشرار، فلو عندكو مشكلة نفسية بتخليكوا تئذوا الناس روحوا اتعالجوا الأول وبعدين فكروا ترتبطوا وتتجوزوا إنما متقولوش هنتجوز عشان نعقل ولا هنتجوز عشان حياتنا تتصلح ونتغير.

أنت وأنتي مش هترتبطوا بمعالج نفسي، أنت هترتبط ببني آدم عنده قدر معين من الطاقة أول ما هتخلص هيبقى موجود معاك مجرد هواء وبس، أو لو عنده الشجاعة الكافية فهو هيمشي ويسيبك، رغم إن المعالج النفسي برضو شخص عنده قدر معين من الطاقة إلا إن ربنا سبحانه وتعالى مزودها عنده شوية عشان يقدر يحل لك مشاكلك فتتجدد عنده تاني بعد ما يشوفك بني آدم كويس ومختلف عن اللي قابله أول مرة.

تمت بحمد الله

إسراء الشيخ

اترك لي انطباعك. وما هو رأيك؟

*توقيع/*_____